مجلة إسلامية شهرية

الصمود

AL SOMOOD

السنة السابعة عشر - العدد (194) | شعبان 1443هـ / مارس 2022م



- معالم على طريق الجهاد
- لماذا يجب أن ننتصر للإمارة الإسلامية؟
- طالبان وجهاً لوجه
- أفغانستان وواجب الدعم والمؤازرة

اللصوص الأقوياء!

الأمن وبناء الإمارة الإسلامية

تجميد الأصول المالية للشعب الأفغان مخالفٌ لجميع الأصول





الصمود
AL SOMOOD

مجلة إسلامية شهرية يصدرها
المركز الإعلامي لإمارة أفغانستان الإسلامية

في هذا العدد

ترحب «الصمود» بمشاركاتكم واقتراحاتكم على بريد القرّاء:
alsomood1436@gmail.com

www.alsomood.af



نصرٌ بعد نصرٍ

قامت الولايات المتحدة الأمريكية بتجميد أصول البنك المركزي الأفغاني، ثمّ أعلنت أخيراً في خطوة مثيرة للغرابة، بصرف نصف هذه الأصول المُجمّدة على ضحايا حادث الحادي عشر من سبتمر!

لا شك أن هذا الفعل سرقة لأموال الشعب الأفغاني، وهو نموذج من عشرات النماذج من سرقات قادة الولايات المتحدة لأموال الشعوب الفقيرة في العالم الإسلامي والعربي.

سرقة أموال الشعب الأفغاني المضطهد الذي خرج بعد أربعة عقود من وطأة الحروب، هزيمةٌ أخلاقية كبيرة للولايات المتحدة الأمريكية التي طالما ادّعت الأخلاق وحقوق الإنسان وغير ذلك من الهتافات الكاذبة.

إنّ هذه الهزيمة إن دلت على شيء فإنما تدل على أن الجاهلية المعاصرة على شفا جرف هار من الانهيار، وأن الولايات المتحدة مقبلة على الانهيار الأخلاقي الذي ما ابتليت به دولة ولا إمبراطورية إلا اندرست ومحيت من صفحة التاريخ للأبد، وانكمشت على نفسها في مجاهل جغرافيا العالم، وإن هذه الهزيمة الأخلاقية للولايات المتحدة الأمريكية سجّلت نصرا آخر للإمارة الإسلامية في أفغانستان، بعد الانتصار العسكري.

كان هذا السقوط الأخلاقي للولايات المتحدة نصرٌ إعلاميّ للإمارة الإسلامية؛ حيث أصبح الذين كانوا يلومون الإمارة الإسلامية بالأمس القريب، يلومون ويلعنون الولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها اليوم. ونصر سياسي؛ حيث علم الجميع أن الولايات المتحدة هي الجانب الذي لا يعرف إلا قوة السلاح والحرب والظلم، بينما الإمارة الإسلامية تمد يد السلام والتسامح والعفو. ونصرٌ أخلاقي؛ حيث أثبتت للعالم أنّ قادة الإمارة الإسلامية في أفغانستان ملتزمون بكافّة المواثيق الحقوقية والأخلاقية للإنسان وبكافة بنود السلام مع خصمها السابق، بينما قادة الولايات المتحدة لم يرقبوا إلاّ ولا ذمة في شعوب العالم، وأقبلوا يسرقون أموال المظلومين والفقراء من الشعب الأفغاني، ويفرغون عليهم غضبهم من الهزيمة العسكرية الأخيرة والانسحاب المذل المهين لهم.

تجميد الأصول المالية للشعب الأفغاني مخالفٌ لجميع الأصول

د. محمد نعيم (المتحدث باسم المكتب السياسي للإمارة الإسلامية في قطر)

لم تتمّ إدانة تجميد الأصول المالية للشعب الأفغاني من قبل الإمارة الإسلامية والشعب الأفغاني فقط، بل من قبل غالبية سكان المعمورة، والدول الإسلامية، وغير الإسلامية ولا سيما الدول الكبرى في العالم، والأمم المتحدة، والجمعيات والمنظمات الإسلامية والحقوقية، بل الشعب الأمريكي والعقلاء من ساسته أيضا أدانوا هذا الصنيع.

وبناء على ذلك يمكننا القول بأنّ هناك إجماعا عالَميّا وإنسانيّا على إدانة هذا العمل المشين.

وهذا الإجماع في الحقيقة موافق للواقع والعقل والمنطق من عدة جهات:

1 - أنّ هذه الأصول المالية ملكٌ للشعب الأفغاني، ملكٌ للنساء والأطفال وكبار السنّ والفقراء والمساكين، ملكٌ لشعب ذاق أربعين سنة ويلات الحرب ومرارتها، نعم إنها على الإطلاق ليست ملكا لفرد أو جهة ما.

2 - إن أحداث 11 سبتمبر ليس للشعب الأفغاني دخلٌ فيها إطلاقا، فما ذنب النساء والأطفال والفقراء والمساكين من الشعب الأفغاني أن يجوعوا؟ فهل من المعقول أن تُجوّع النساء والأطفال وكبار السن ويعذب المرضى في المستشفيات على قضية لم يكن لهم دخل فيها أصلا!

3 - بدلا من أن يُساند الشعب الأفغاني المكلوم، وتُمدّ إليه يد العون والمساعدة؛ للأسف يُجوّع، ويُعطّش من قبل من يدّعي حقوق الإنسان، وحقوق النساء والأطفال! وكلّ هذا في الحقيقة ينسف تلك الدعوات الفارغة والشعارات الجوفاء التي يحاول البعض الوصول من خلالها إلى أغراض سياسية ومبهمة.

4 - نعم لا شك في أنّ تجميد الأصول المالية للشعب الأفغاني من قبل الإدارة الأمريكية أضرّ بالنساء والأطفال وكبار السن والمرضى، ولكن في الطرف المقابل رفع الستار عن الحقيقة المخفية وراء تلك الشعارات والنعرات المزوّرة والمزيفة.

الخلاصة أن الشعب الأفغاني كما صمد عشرات السنين تجاه الهجمات الظالمة المختلفة، وقد ضحّى بكلّ غال ورخيص في سبيل الحق والدفاع عن الحق، سيصمد في المستقبل أيضا، ولن يستسلم للضغوط والإملاءات، وكما انتصر سينتصر إن شاء الله.

جدير بالذكر أن القيام بهذا العمل قد أضرّ بسمعة الولايات المتحدة أكثر مما أضرّ بالشعب الأفغاني، حيث الضرر الذي لحق بنساء وأطفال وكبار السن والمرضى والفقراء والمساكين في أفغانستان، هو ضرر مادي وسينتهي أو يعوّض يوما مّا، أما ما لحق بالولايات المتحدة جراء هذه الخطوة غير الموفقة، ضرر معنوي وتاريخي وأخلاقي، وأنه يبقى أبد الدهر، وأن أجيال الشعب الأمريكي لا محالة سيعانون روحيا من قرارات ساستهم التي يتخذونها اليوم، ومن الواضح بأن الشعب الأمريكي لا يريد ولا يمكنه تحمل هذا الضرر جيلا بعد جيل عبر التاريخ.

ومن المستغرب التناقض في موقف الإدارة الأمريكية، فمن ناحية تقدم مساعدات للشعب الأفغاني، ومن ناحية أخرى تجمّد أصوله المالية، بل وتتصرف فيها! وهذا كمن يصد الناس عن الماء لهم، ثم يوزع بنفسه عليهم بعض الماء القليل في الكؤوس.

ومما يجعل الكثيرين يتساءلون هو أنه من ناحية يُتهم البعض بعدم الاستماع إلى نداء الملل المتحدة والاحترام لأصولها، ومن ناحية أخرى هم بأنفسهم لا يسمعون أو لا يستمعون لا إلى نداء الملل المتحدة فحسب، بل إلى نداء دول العالم والشعوب والمنظمات بالإفراج عن الأصول المالية المجمدة للشعب الأفغاني.

نعم هناك بعض الخطوات الإيجابية التي اتخذتها الولايات المتحدة في الأونة الأخيرة – وهي جديرة بالتقدير - والتي ساعدت وستساعد في تحسين صورتها وسمعتها إلى حد ما، وهي رفع العقوبات عن المعاملات المالية والاقتصادية مع أفغانستان، وهذا في الحقيقة يشير إلى أن هناك استعدادا لفهم الحقائق الأرضية وقبول بعض الحق من قبل الإدارة الأمريكية.

نحن نتوقّع أن نرى هناك خطوات إيجابية أخرى تساعد في حل المشكلات والأزمات الموجودة في أفغانستان، ولا شك في أن الحل الأمثل للمشكلات هو فهم الواقع والتعامل معه بمسؤولية، وما لا يخفى على أحد أن الإمارة الإسلامية هي الجهة الوحيدة الممثلة للشعب الأفغاني والمسيطرة سيطرة كاملة على جميع ربوع البلاد، والتي وفّرت الأمن والأمان للشعب والبلد، وتسعى جاهدة لحل المشكلات الخارجية والداخلية المتبقية.

نحن متفائلون بأن نرى حلا للمشكلات قريبا وليس بعيدا، إن شاء الله، وما ذلك على الله بعزيز.

الأمن وبناء الإمارة الإسلامية

مصطفى حامد (أبو الوليد المصري)

- بـدون الأمـن لا يمكـن بنـاء الاقتصـاد، وبـدون الاقتصـاد لا يمكـن بنـاء الإمـارة الإسـلامية.
- غنمـت الإمـارة الإسـلامية كميـات خياليـة مـن المعلومـات الاسـتخبارية وأجهـزة التجسـس الحديثـة، نتيجـة الانهيـار المفاجـئ لقـوات الغـزو الأمريكـي والقـوات العميلـة.
- طـوَّر شـباب الإمـارة صواريـخ، وطائـرات بـدون طيـار، وغنائـم لا يمتلكهـا أحـد سـوى الجيـش الأمريكـي والإمـارة الإسـلامية.
- تمكـن هـولاء الشـباب مـن توجيـه ضربـات نوعيـة لمجموعـات إرهابيـة درّبتهـا مخابـرات أمريكيـة وإسـرائيلية. بعضهـم مـن دول أوربيـة، وبعضهم من أفغانسـتان.
- الإمـارة الإسـلامية تعـرف كيـف تـرد على الإهانـات الأمريكيـة وتسـترد الحقـوق الأفغانيـة التـي لا يمكـن لأحـد أن يأخذهـا عنـوة مـن شـعب مجاهـد.
- الماء موضوع للسلام الإقليمي ونهضة المنطقة.
- أمن الإمارة والمعونات الملغومة.



أهمّ الاحتياجات لبناء الدولة الإسلامية هو توفير الأمن؛ لهذا يعمد الأعداء في مقاومتهم لبناء الدولة إلى الإخلال بالأمن. وعندما هزموا، تركوا خلفهم جيشًا إرهابيًا سريًا مدرّبا مهمته الإخلال بالأمن وإشعار الناس أنّ حياتهم وأموالهم مهدّدة، حتى يتخلوا عن الإمارة الإسلامية. ويأمل الأعداء أن تعتدي الإمارة على حقوق المواطنين وحرياتهم بدعوى الحفاظ على الأمن. وهذا ما يقال عنه: مقايضة الأمن بالحرية. حيث تعتدي الدولة على حريات المواطن بدعوى توفير الأمن.

ولكن الإمارة الإسلامية أثبتت أن المواطن الحر الذي يتمتع بكافة حقوقه التي كفلتها له الشريعة هو أساس الأمن والاستقرار للمجتمع. كان ذلك مفاجأة قاسية للعدوّ الذي توقع عكس ذلك.

وقد أثبتت تجربة الإمارة الإسلامية أن المواطن الحرّ قدم دعمه وماله وأولاده في سبيل الدفاع عن الدين والوطن. ولولا ذلك ما استطاع شعب فقير غير مسلح من أن يهزم أقوى جيوش على ظهر الأرض.

وحاليًا يتصدى نفس المسلم الحر المجاهد لجيوش الإرهاب التي تركتها أمريكا على هيئة مجموعات سرية مدربة ومنظّمة. وحققت الإمارة انتصارات مذهلة في الحرب على الإرهاب الدولي، اعتمادًا على الإيمان والمسلم المجاهد الحرّ.

وأعظم الانتصارات على تلك المجموعات حققها المواطنون العاديون بمجهوداتهم الذاتيه أو بالتعاون مع قوات الإمارة العسكرية والأمنية.

وكما في وقت الجهاد كان الشعب المسلم هو مصدر السلاح والمال والمعلومات، ما زال الشعب يقدم نفس الأشياء الآن في حربه على الإرهاب القادم من الخارج أرضًا وجوًّا.

درجة الأمان التي تتمتع بها الإمارة الآن لم تشهدها أفغانستان قبلًا ولم تشهد مثلها معظم دول المنطقة. وقد تمكّن الشعب من تدمير مجموعات كانت قادمة من منطقة الشرق الأوسط وأحيانًا من أوروبا عن طريق المطارات والممّرات الأرضية.

الأمن والاقتصاد

بدون توفّر الأمن لا يمكن بناء الاقتصاد. وبدون الاقتصاد لا يمكن بناء الدولة بجميع أجهزتها والخدمات التي تقدّمها لمواطنيها من تعليم وصحة وسكن. لهذا فإنّ حماية الاقتصاد هو الهدف الأوّل لمجهود الأمن وأجهزة الإمارة المختصّة. وبدون تعاون الأفراد العاديين لا يمكن لتلك الأجهزة أن تنجح في حربها على الإرهاب تمامًا كما كان دور المواطن المسلم في تحقيق النّصرعلى جيوش الغزو الأمريكي الأوروبي.

قوة الشعب المسلم هي قوة الدفاع الأساسية عن الإمارة الإسلامية ضدّ الغزو الخارجي أو الإرهاب الداخلي لجيوش أساسها المستعمر وأعوانه.

ومع ذلك تبذل الإمارة مجهودًا كبيرًا لبناء أجهزة دفاع خارجي وأجهزة أمن داخلي على مستوى عال من التجهيز والتدريب. وحققت طفرة نوعية في وقت قياسي بفضل الروح الاستشهادية والابتكار الخلّاق لكوادر الشباب الذين نشأوا منذ طفولتهم في ميادين الجهاد. وقد غنموا كميات خيالية من المعلومات الاستخبارية وأجهزة التجسس الحديثة؛ وذلك نتيجة الانهيار المفاجئ لقوات الغزو الأمريكي والقوات العسكرية والأمنية العميلة.

ومعلوم ضخامة الغنائم العسكرية التي وقعت في أيدي الإمارة الإسلامية وأجيال الشباب المؤمن الذي تربّى في ساحات المعارك وأتقن فنونها وأسرارها وشارك في تطوير معداتها وأساليب عملها. تجلى ذلك في تطوير هؤلاء الشباب لصواريخ وطائرات بدون طيّار بعضها من الغنائم التي لا يمتلكها أحد سوى الجيش الأمريكي والإمارة الإسلامية.

الإرهاب والبنية التحتية للاقتصاد

يهدف الجيش السرّي الإرهابي الذي كوّنته أمريكا إلى ضرب البنية التحتية، خاصة المشاريع الاقتصادية المتعلقة بتعاون الإمارة مع دول الجوار، أو لاستخراج العناصر النادرة. كما يهدف الجيش السرّي إلى القيام بعمليات اغتيال نوعية لضرب التسلسل القيادي داخل الإمارة وحرمانها من الكوادر الخبيرة.

وكما كان الانهيار النفسي سببًا أساسيًّا في سقوط النظام العميل وسببًا في الفرار المذعور غير المنظم لقوات أمريكا، فقد كان أيضًا سببًا في تدفّق المعلومات الاستخبارية والمعدات الأمنية حيث تسابق قادة كبار العسكريين إلى التخلص من تلك المواد وبيعها للإمارة للحصول على العفو والسماح لهم بمغادرة البلاد. وبعضهم قدم للإمارة أكثر من ذلك بكثير.

الإرهاب الاقتصادي وأمن الإمارة

يعمد العدوّ الأمريكي إلى الأضرار باقتصاد الإمارة ومنعها من امتلاك اقتصاد قوي أو الاستفادة مما لديها من ثروات هائلة وخامات نادرة أو المضي قدما في برامج إقليمية للتعاون الاقتصادي.

- الحصار الاقتصادي ومصادرة أموال أفغانستان المودّعة لدى الولايات المتّحدة تقدر بأكثر من عشرة مليارات دولار. وتتصرف أمريكا في تلك الأموال، إمّا على هيئة تعويضات لحساب بعض الأفّاقين ممّن تسميهم (ضحايا أحداث 11 سبتمبر) أو أن الحكومة الأمريكية وبكل وقاحة تأخذ جانبًا ضئيلا من تلك الأموال لا يعادل جزء من فوائدها الربوية كي تتبرع به كمعونات إنسانية، لملايين الأفغان الذين تهدّدهم المجاعة والبرد وانهيار الخدمات؛ نتيجة التخريب الذي استمرّ لأكثر من عشرين عامًا.

تستخدم أمريكا الأموال الأفغانية كأداة ضغط على الإمارة الإسلامية لإرغامها على اتخاذ مواقف سياسية موالية لأمريكا ومنافية لقيام حكم إسلامي صحيح.
ستواجه أمريكا فشلا ذريعًا في إرهابها الاقتصادي ونهب الأموال الأفغانية التي لديها، وتوجيه إهانات للشعب الأفغاني على شكل معونات إنسانية، مع إرغامه على دفع تعويضات عن أحداث ليس له أدنى علاقة بها.
الإمارة الإسلامية تعرف كيف ترد على الإهانة الأمريكية بكسر الغرور الأمريكي، واسترداد الحقوق الأفغانية التي لا يمكن لأحد ان يأخذها عنوة من شعب مجاهد.

أمن الإمارة والأمن الإقليمي

يهدف العدو الأمريكي إلى زعزعة أمن الإمارة عن طريق إشعال الفتن مع الجيران وتحريضهم على الإمارة بإحياء المشاكل الحدودية والنزاع على ترسيم الحدود وتقاسم الثروة المائية بشكل خاص. ومعلوم أن الماء يعتبر عالميًا أحد مواضع الصراع الذي تسعى أمريكا إلى العيش به عن طريق إشعال حروب مياه، والسيطرة -بدون وجه حق- على ثروات المياه كما تفعل إسرائيل في أكثر من موضع، يخصنا منها مياه نهر جيحون.
- تحاول أمريكا وحلفاؤها إشعال فتيل الصراع المائي بين الإمارة الإسلامية وجارتها إيران، والتدخل بشكل مباشر أو غير مباشر في مسألة توزيع المياه بين البلدين أو التظاهر ببناء مشروعات مائية تهدف إلى تعميق المشكلات والدخول بها إلى مجال الصراع الدموي، كما فعلوا في مشكلة بناء "سد النهضة الحبشي" الذى يشكل خطرًا لا يزول، وعداوة دائمة بين الدول المشاركة في مياه النيل الأزرق، ويدَّعون كذبا أن السد جاء بمنفعة الجميع وتوليد كهرباء للمصلحة العامة في أفريقيا.

الماء موضوع للسلام الإقليمي ونهضة المنطقة

ربما تسير الأمور يومًا في اتجاه تشكيل هيئة إقليمية لاستثمار موارد المياه بشكل عادل، والدخول في مشاريع زراعية مشتركة تتقاسم فيها الدول المساهمات على قدر طاقتها. إما بالمياه أو بالأرض أو بالمعدات أو بالتمويل أو بتصنيع المنتجات وتوزيعها داخل أفغانستان وفي الدول المشاركة في المشاريع. وأن يكون الحكم في كل ذلك الشريعة الإسلامية والقوانين الشرعية الجامعه مثل: (قانون لا ضرر ولا ضرار).

المحكمة الإسلامية للأمن وفض النزاعات الإقليمية

لمقاومة الجهود التخريبية لأمريكا وإسرائيل لإشعال النيران في الخلافات الحدودية، القديم منها والمستحدث، ربما تقام مستقبلا محكمة إسلامية للنظر في تلك المشكلات من زاوية القوانين الإسلامية وقوانين الحفاظ على حقوق المسلمين وعدم استخدام القوة لفرض أمور باطلة.
ومن الطبيعي أن تستعين المحكمة بوثائق وخبراء مختصين في كل مشكلة تعرض عليها. تلك المحكمة تكون حاجزًا أمام التدخلات الخارجية وأمام مؤمرات الاحتلال الأجنبي الذي عانت منه أفغانستان طويلا كما عانت منه شعوب المنطقة.
يمكن مسقبلا أن تتطور المحكمة لتصبح محكمة إسلامية عالمية للنظر في أي مشاكل تعترض طرفين سواء كانا مسلمين أو غير مسلمين، طالما وافقوا على مبدأ المحكمة الإسلامية الدولية.
- إن القضاء العادل والعاجل، هو محور أساسي لأمن وقوة الإمارة الإسلامية. ومن الموافقات السعيدة وجود قاض على رأس إمارة المؤمنين (وهو أمير المؤمنين مولوي "هبة الله". القاضي وشيخ الحديث). وفي ذلك تأكيد لمبدأ العدالة وتقوية دور القضاء، وترسيخ الأمن الداخلي عن طريق نشر العدل وحكم الشريعة.

أمن الإمارة والمعونات الملغومة

أكثر معونات الأعداء تهدف إلى التخريب والإخلال بالأمن وليس إلى مساعدة الشعب أو المساعدة في تقوية الإمارة.
فقد رأينا مساعدات مائية هدفها الحقيقي إشعال حروب مائية في المنطقة، ورأينا مساعدات لإعادة تشغيل المطارات والقول بأن ذلك ينهض بالاقتصاد. ولكن الهدف الحقيقي كان تشغيل وإدارة وتمويل شبكات التجسس الخارجية ودعم وإدارة الجيش السري الذي تعول عليه أمريكا في تخريب بنيان الإمارة.
- تواجه الإمارة مشكلة مع جيرانها وشركائها في مياه نهر جيحون. وقامت أطراف خارجية بإنشاء مشاريع على نهر جيحون وروافده، متظاهرين أن هدفهم هو التنمية الاقتصادية للمنطقة. وفي الحقيقة أن تلك الدول كانت تستثمر لصالحها، بالمشاركة مع الاحتلال والحكم البائد.
فشهدت منطقة نهر جيحون أعمالا مائية وأعمال تنقيب عن الذهب على حساب تخريب مياه جيحون التي تصل إلى أفغانستان وتسميمها بالمواد التي تستخدم لاستخراج الذهب. إلى هذه الدرجة استخدموا الاقتصاد في تخريب الأمن تحت شعارات الصداقة والتنمية.
- ويمكن للإمارة أن تدخل في مفاوضات مباشرة مع جيرانها في طاجيكستان وقرغيزستان للتوصل إلى حلول تحافظ على مصالح الجميع تحت نص شعار الإمارة (لا ضرر ولا ضرار). ومياه نهر جيحون تكفي الجميع وزيادة، وتحمل إمكانيات هائلة للتنمية الزراعية خاصة في شمال أفغانستان امتدادا إلى غربها وجنوبها.





الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين يستهجن مصادرة سبعة مليارات من الدولارات من أصول البنك المركزي الأفغاني

الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين يستهجن ويستنكر قرار الإدارة الأمريكية بمصادرة سبعة مليارات من الدولارات من أصول البنك المركزي الأفغاني، ويطالبها بالإفراج عن المبلغ وصرفه للشعب الأفغاني، ويعتبر القرار خروجا عن قيم العدل والرحمة ومعكوساً من حيث الواقع، لأن من له الحق في المطالبة بالتعويض هو الشعب الأفغاني المحتل وليس من دمّر البلد واحتله !!ويطالب الشعوب الحرة، والمنظمات الدولية وحقوق الإنسان بمنع تنفيذ هذا القرار الظالم.

يتابع الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين أحوال الشعب الأفغاني من فقر ومعاناة وشح في الموارد المالية التي لا تغطي ولو جزءاً من احتياجاتهم الغذائية والصحية والطبية، ناهيك عن الرواتب المطلوبة لمئات الالآف من الموظفين والعاملين ونحوهم. ففي هذا الوقت الصعب جدا على الشعب الأفغاني كانت التوقعات أن تفرج أمريكا عن الرصيد المالي الأفغاني، فإذْ بالإدارة الأمريكية تصادر سبعة مليارات من رصيد الشعب الأفغاني، فهذا بلا شك ظلم ومخالف لكل القيم، فكان بإمكانها أن ترتب بالتعاون مع الأمم المتحدة أو الدول الصديقة صرف هذه المليارات على الشعب الأفغاني فقط دون الجهات العسكرية أو الحركة، فهذا القرار سيزيد الغضب والكراهية والاحتقان ضد أمريكا التي كانت بحاجة إلى تجميل وجهها من خلال رعاية الجانب الإنساني والإغاثي.

لذلك كله، فإن الاتحاد يؤكد عل ضرورة الإفراج عن جميع المبالغ الخاصة بالشعب الأفغاني، وصرفها لهم، وذلك للتخفيف من هذه المعاناة الشديدة الشاملة للجانب الغذائي والصحي والإنساني، التي يعاني منها الشعب طوال فترة الاحتلال ثم الحصار، كما أن الاتحاد يطالب الأمم المتحدة ومنظمة التعاون الإسلامي، والمنظمات الإنسانية وأصحاب الضمير الحي أن يقفوا ضد هذا القرار الظالم وأن يطالبوا بالإفراج عن جميع الأموال المحجوزة، وبإغاثتهم، ودعمهم ماديا ومعنوياً. وفي ذلك أداء لواجب ديني وإنساني وحقوقي، كما أن فيه مصالح للجميع، فليس من المصلحة تجويع شعب محترم وعزيز وبطل مثل الشعب الأفغاني.

(وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ).

أ. د علي القره داغي

أ . د احمد الريسوني



اللصوص الأقوياء !!

غلام الله الهلمندي

وقّع الرئيس الأميركي، جو بايدن يوم 11 فبراير/شباط أمرا تنفيذيا يسمح للولايات المتحدة بالتصرف بسبعة مليارات دولار من الأرصدة الأفغانية المجمدة لدى البنوك الأميركية، وأصدر أمرا بتخصيص 3.5 مليار دولار منها لتعويض أسَر ضحايا هجمات 11 سبتمبر/أيلول 2001، وبإنفاق النصف الآخر في المساعدات الأفغانية، بصورة لا يقع فيها المبلغ بيد الإمارة الإسلامية، علما بأنها الحكومة المسيطرة على كامل أراضي أفغانستان بلا منازع، الحكومة الموحِّدة للأراضي الأفغانية وللشعب الأفغاني تحت راية واحدة بعد أربعين عاما من الاختلاف والتفرق والتحزب والتمزق والحروب والصراعات.

وبمقتضى ذلك الأمر التعسفي يتصرفون في أموال الشعب الأفغاني الفقير الذي يفتقد إلى لقمة تسد رمقه، وإلى خرقة تقيه البرد القارس. يتصرفون فيها بأسلوبهم الخاص، بالأسلوب الأميركي القذر وبطريقة استفزازية. يتصرفون فيها كما يشاؤون، بينما تشهد أفغانستان أزمة إنسانية خطيرة. وهذا التصرف -بلا أدنى شك- سرقة علنية تصطدم مع الإنسانية والضمير البشري، وهو تصرف جبان، تصرف هو أقرب إلى تصرفات عصابة منها إلى تصرفات دولة. أليست هذه قرصنة وسرقة

علنية على مرأى ومسمع من العالَم كله؟ أليس هذا قتلا جماعيا يرتكبه القراصنة بحق الشعب الأفغاني الحر؟ وهل يمكن لدولة أن تصادر أموال دولة أخرى بل أموال شعب آخر في وضح النهار؟ إنها أموال تخص الشعب الأفغاني، أموال كسبها شعبنا الفقير بعرق جبينه، أليس هذا قرارا تعسفيا على مرأى ومسمع من العالَم الذي يدّعي الدفاع عن حقوق الإنسان كذبا وزورا؟
وهذا الصمت الرهيب والمخجل من المجتمع الدولي والمؤسسات التي تعنى بحقوق الإنسان يشجعهم على التمادي في ارتكاب المزيد من السرقات والعدوان ضد حقوق الإنسان، الأمر الذي يعدّ اشتراكا في الجريمة.

إن هذه السرقة بلا أدنى شك تكشف حقيقة ضعف أمريكا، وتكشف للعالَم حقيقية انحطاط أخلاقها، وانحطاط حضارتها وثقافتها، وهذا يعني أن الأمريكان لا يهمهم الأخلاق والمبادئ والحقوق والإنسانية، ومن الغريب أنهم يحدثون أكثر من أي شعب آخر عن القيم والمبادئ وحقوق الإنسان! ولعل نهب أموال الناس وتجويعهم يُعدُّ من حقوقهم في دينهم!
ولا يسألهم أحد: مَن يعوّض عوائل الأفغان؟ (ويلكم) ومن يعوض ضحايا إرهابكم خلال العشرين سنة الماضية، الضحايا الذين قتلتموهم وقصفتموهم ومزقتموهم إربا إربا ومن غير وجه حق، الضحايا الذين أحرقتموهم وسجنتموهم وهجرتموهم ويتّمتموهم ظلما وعدوانا، والذين يبلغ عددهم مئات الآلاف؟
وهل دماؤكم أغلى من دمائنا؟ وهل دماؤكم أكثر حرمة وقداسة وقيمة من دمائنا؟ أهلكتم الحرث والنسل ولم يسألكم أحد: لِمَ؟ خلال احتلالكم لبلادنا قتلتم شعبنا با لقصف والدمار، وتقتلونه الآن بالتجويع والحصار، ما أصغر نفوسكم! وما أخس أقداركم! وما علاقة الشعب الأفغاني أصلاً بتفجيرات 11 سبتمبر؟ وهل الشعب الأفغاني هو من قام بتفجيرات 11 سبتمبر حتى تعاقبوه، لم يكن لهذا الشعب يدٌ فيها ولم يكن له علم بها.
أهذه عدالتكم التي طالما بُحَّتْ أصواتكم من كثرة التفاخر بها؟ ألا تدّعون الدفاع عن مبادئ العدل والإنسانية والدفاعَ عن حقوق الأطفال، والقلقَ بشأن زيادة الجوع وسوءالتغذية بين الأطفال؟ ألا تدعون الدفاع عن حقوق النساء؟ أو لم يعد هناك طفل ولا امرأة في أفغانستان؟ أهذه حقوق الإنسان التي صدعتم رؤوسنا بترديدها؟ أهذه حضارتكم التي تتفاخرون بها وتحاولون إهداءها لشعوب العالَم؟ أهذه ثقافتكم التي تتميزون بها عن بقية الشعوب؟

إنها أكبر سرقة مقننة. إنها الوقاحة في أبشع صورها، قمة الوقاحة، وقاحة ليس لها حدود. إنها السرقة بأقبح صورها. لا نعتقد أن هناك أناسا أكثر وقاحة من الأميركيين. إنه عار في جبينكم دولةً وشعبًا، عار يلاحقكم، إنه عار لا يليق إلا بالأنذال، وهم أنتم. إن هذا التصرف خليط من الحقارة والنذالة والضعف والجبن والقرصنة، وهي الهوية الحقيقية للحكومة الأميركية والشعب الأميركي الذي يصوّت لصالح هذه الحكومة. إنها جريمة تضاف إلى سجل حافل بالجرائم، مليء بسفك الدماء، وقتل الأبرياء ونهب الأموال، وانتهاك الحرمات. ولكن لا بأس فالظلم لن يدوم، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون، سيدفعون الثمن باهظا بإذن الله. إنهم قطاع طرق، ولصوص لئام، لأن اللص الشريف (إن كان هناك لصوص شرفاء وغير شرفاء) لا يسرق الفقير. إنهم لصوص ولكنهم لصوص مثقفون، واللصوص المثقفون لا يتم ملاحقتهم ومعاقبتهم، ولا يوجد في القانون الدولي نصٌّ يُعاقَب هؤلاء اللصوص المثقفون بمقتضاه، ولكن يوجد فيه طبعا نص يعاقب فقيرا سرق رغيف خبز ليقيم صلبه، ما أقبح هذا القانون! وما أقبح هذه الحضارة! نظام غير محترم وشعب غير شريف، فإن المحترم لا يسرق الفقراء، وإن الشريف لا يظلم المستضعفين. لصوص حقيقيون ولكن بطريقة حديثة راقية، يعني أنها سرقة تحت ظل القانون، ولكن قانون الغاب الذي يؤمن به الأمريكان، وهل تثق بعد هذه القرصنة العلنية دولةٌ بأميركا؟ وهل تودع أموالها وأموال شعبها لدى البنوك الأميركية؟ لعل الذين يستثمرون أموالهم لدى البنوك الأميركية يعيدون النظر فيها، ومَن يودع أمواله في بنوكهم مَثَلُه كمثل راعٍ يأتمن الذئب على خرافه.



لماذا يجب أن ننتصر للإمارة الإسلامية؟

الشيخ نائل بن غازي

لقد مضت سنة الله تعالى القدرية أنّ المحن كاشفات عن معادن الأشياء وحقيقتها، فمنها ما يزداد بها متانةً وأصالةً، ومنها ما يذوب ذوبان الشوائب غير المحمودة في أصلها ولا في تراكيبها وإلفها.

وإنه مما لاشك فيه أن سنة المدافعة مسفرة عن طبائع الناس، كاشفة عن حقيقتهم، مظهرة لمدى نضجهم وثباتهم، وقد تتنوع في مسيرتها الأدواء وترى فيها ما لا تحسب أن يكون ولا في مخيلة النائم على رهق!

ولقد مرت الأمة بظروف أصعب مما تمر عليه الآن بمراحل عديدة؛ بل هي أسوأ وأظلم؛ وعبارات المدونين لتلك الحقب لازالت مرسومة بمداد القهر في كتب التاريخ، ترشد المستبصر للحال التي عاشتها الأمة الإسلامية على مدار مدافعتها للباطل بخيله ورجله حتى كُسرت أقلام التدوين وظن ضعاف الإيمان أنها النهاية التي لن تقوم للإسلام بعدها دولة ولا قيامة.

ولم تخل المعركة يوماً من قائمين للعدو في الصف إرجافاً وتثبيطاً للناس عن القيام بواجب المدافعة والمجاهدة تحقيقاً للفرض العيني اللازم، وقتلاً بالتشكيك في معاني الثقة بنصر الله تعالى وأن الأمور بيده يقلبها كيف يشاء، سيراً على سيرة الأقدمين حذو النعل بالنعل ﴿وَإِذْ قَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا﴾، ﴿قَالُواْ لاَ تَنفِرُواْ فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾ وكأنهم لم يدركوا معاني النصر في الكتاب المبين وأن الإقامة على ثغور الجهاد ضرب من أعظم ضروب النّصر وسبب رئيس لمقدماته.

ولما كان لكل مرحلة علماؤها ورجالها فقد قضى الله تعالى أن يبقى في الناس على المدى علماء يأخذون بيد الناس إلى حيث تتبع السنن ومراقبة النصر كأنه غداً ثقة بالله تحقيقاً لا تعليقاً؛ سيراً على سيرة الأوائل ثقةً

ويقيناً ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَٰذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾.
وتلك الشواهد الحاضرة غير البعيدة ترشدك لتلك المعاني التي لا تقبل الشك إلا على أجندات النفاق أو الجهل على أحسن حال تغليبا للظن الحسن. وإن من عظيم نعم الله تعالى على أمة الإسلام، أن جعل الجيل فيها يراقب تشكيل عوامل النصر ويعيش لحظاته، تخطه تضحيات أبنائها في بقاع المدافعة مع العدو الصائل المحتل، ومعاينة خزيه وهزيمته واندحاره.
لتعيد صياغة منظومة النظر لحقيقة الوعد الإلهي ويقين تحققه لا محالة إن استُجمعت أسبابه.
فعلى أرض الجهاد، وساحة الاستشهاد، وميدان مرافقة السيف للكتاب الهادي، أعلنت الإمارة الإسلامية في أفغانستان قيام إمارتها أذاناً بعهد جديد لا ظلم ولا عمالة ولا احتلال فيه، بعد استنفاذ الوسع في توسل أسباب النجاح الشرعية المرضية، وجاء دور العاملين من المسلمين -فرادى وجماعات- في استكمال المسيرة مع إخوانهم، لتثبيت النصر، ومشاركة الأجر -حسبةً لله وقياماً بالفرض العيني الواجب- فأحسن التذكير مع ذلك.
لماذا يجب أن ننتصر للإمارة الإسلامية والاعتذار لها؟
لأنّ الانتصار لها جزء من حقيقة الإيمان المتمثلة بالولاء للمؤمنين والبراءة من الكافرين قال الله ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾. فالانتصار حتمٌ واجب على كل مسلم بالممكن المستطاع، ولا عجز في زمن فشوّ وسائل التواصل، فالكلمة ونشر قضيتها، والتحريض لها، والانتصار لها، والذب عنها والاعتذار لاجتهاداتها، لا يعجز عنه المسلم.
لأن الانتصار لها استكمال لمسيرة الجهاد، المتمثلة في بناء المؤسسات، وتثبيت عوامل القوة وتمكينها. فالمعركة لم تضع أوزارها بعد، ولازال المسلم مطلوباً منه أن يحقق الانتصار في معركة البناء الواجب، والتي رُفعت فيها شعارات نقض التبعية، ونفض اليد من القوى الأرضية التي تمثل جزء من مشروع الابتزاز لتحصيل ما لم تحصله الآلة العسكرية على مدار عشرين سنة، فلزم المسلم أن ينتصر للإمارة جهاداً ودفاعاً، في مسيرة البناء، فكسر الحصار وتخفيف آثاره فرض واجب على كل مسلم قادر على المستوى الرسمي المؤسساتي، أو المستوى الفردي بالممكن المستطاع.
لأن الانتصار للإمارة الإسلامية انتصار لمعركة المبادئ والحق الأصيل في مواجهة معركة المصالح التي أذيبت في ساحاتها كل قيمة ومبدأ. وما معركة الاعتراف بالإمارة الإسلامية إلا خلاصة هذه المعركة الكبيرة التي تجاهد فيها المبادئ غزو القيم الأرضية والمصالح الذاتية على حساب كل حق أصيل.
للإمارة الإسلامية الحق في نيل الاعتراف الذي لا تستجديه، وعلى المسلم أن يساهم في هذه المعركة بشتى السبل والوسائل، وقد أثبتت التجارب على المدى القريب والبعيد أن المسلمين قادرون على إمكانية التغيير وفرض غاياته، إذا عزموا عليه وقادوه بطرق منظمة ذات تأثير، فبذل الوسع في التخطيط والدعم حتم لازم لا يحل التخلي عنه، أو استبطاء توسله.
لأن الانتصار للإمارة يمثل انتصاراً للمشروع الإسلامي في وجه الهيمنة الغربية الساعية لصياغة الجيل على أرضية الاستسلام وقبول الرضوخ والإيمان بالعجز التام عن التغيير، وكسراً لحلقات سياسة الإفشال المتعمد. لم تحرر الإمارة الإسلامية ثرى أفغانستان فحسب؛ وإنما رفعت بالجلاء أغلال إصر العجز المضروب زمناً على عقلية الجيل؛ وبددت معه غيوم الإيمان المغشوش المصنوع على يد الطغاة والمحتلين، القاضي بفرض المستحيل كجزء من فروض يوم المسلم، والتي كبلت معه كل طاقة، وأهدرت معه كل مقدرات، واغتيلت معه كل قدرات، فجاءت الإمارة ومعها الفتح للأرض والعقل، فكان الانتصار لها انتصاراً واجباً وجزء من حسن العهد، وتمام الوفاء.
لأن الانتصار لها يمثل بعثاً لليقين وتجديده في زمن الهزائم، فالتجربة ملهمة مثبتة، والساحات الجهادية رأت في نصر الإمارة رسالة تحقيق الوعد ويقين الوصول، فصنع الفتح ما لم تصنعه كل التقريرات والتوجيهات، وأن الفتح ممكن وقريب وإن تعاظمت قوة الباطل، فتعين الانتصار لها رداً لجميل التثبيت المصوغ على أسنة الرماح، ومنابر التضحية والفداء.
لأن الانتصار لها مساهمة في ترسيخ النظرة الشرعية الصحيحة لقضية سياسة الدول، وصياغة المنظومة المفاهيمية الرشيدة، بتقديم نموذج رشيد في الحكم يمثل حالة اتزان بين الجفاء والغلو في المفاهيم. فهي "إمارة إسلامية" تحمل رسالة طهر الوسيلة ونقاء الغاية في الحكم والعدل والعفو والحفاظ على الأنفس والأعراض والأموال عدل كلها، فهي ليست دولة مدنية تزاحم فيها الاجتهادات العقلية النصوص القطعية؛ وهي كذلك ليست دولة دينية بالمفهوم الكنسي المرتبط بتاريخ محاكم التفتيش، وتسلط الأباطرة على حريات الخلق بتشريع الهوى في قوالب النصوص العقلية المخترعة.
لأن الانتصار لها انتصار لحقيقة النصر في زمن تسويق الوهم والخداع. فقم ولا تنزل عن الجبل فلازالت المعركة قائمة، وخذ من الثغور ما تحسن ويجب ولا تعتذر، فالعجز الحرام حرامٌ صحبته.



طالبان وجهاً لوجه

د. محمد الصغير

تواتر عن رسول الله ﷺ قوله: "نضَّرَ الله عبدًا سَمِع مقالتي فوعاها، فبَلَّغها مَن لَم يَسْمعها، فرُبَّ حامل فِقْه إلى مَن هو أفقه منه... الحديث"، وفي رواية "نضَّرَ الله وجْهَ امرئ سَمِع مقالتي..."، فنضارة الوجه سمة أهل الحديث، وكرامة القرآن تظهر على أهله الذين هم أهل الله وخاصته، وأهل الصلاة يبعثون يوم القيامة غُرًّا مُحجَّلين من آثار الوضوء، وكذلك هيبة الجهاد تظهر على وجوه المجاهدين، وهذا أول ما وقع في نفسي عند رؤية وفد حكومة طالبان، بل شعرت بأنني أمام خلق جديد من خلق الله، ولم يقلل من هذه الهيبة رقة ملابسهم وعظيم تواضعهم.

كان في الوفد خمسة وزراء، وعدد من وكلاء الوزارات والمساعدين، وتحدث رئيس الوفد المولوي أمير خان متقي وزير الخارجية عن مسيرة جهاد الأفغان ضد القوات الغازية على مدار ثلاث وأربعين سنة متصلة، بدأت بدحر الروس وهزيمة الاتحاد السوفيتي، ثم عشرين سنة في حرب أمريكا ومعها أربعون دولة، بالإضافة إلى عشر دول تمدهم وتساعدهم، وما خرجت الجيوش الغازية حتى أحرقت أفغانستان، وشبه حال أفغانستان بحال بيوتها الطينية التي إذا اشتعلت في جنباتها النيران تأكل أخشاب السقف فقط، وتحول الطوب اللبن إلى الآجر الأحمر المقوَّى!

مع الشيخ حقاني

ثم دار حوار بيني وبين وزير التعليم العالي المولوي عبد الباقي حقاني، ودرجة المولوي هي أعلى المقامات العلمائية عند الأفغان، وقبلها درجة الملا أي المدرس المباشر لطلبة العلم (طالبان)، وهذا يدل على أن قادة الحركة حصلوا التجربة الميدانية والأستاذية الشرعية، وقد أهداني فضيلة الشيخ حقاني بعض مؤلفاته بالعربية مثل حفظ الأسرار وإفشائها في الشريعة الإسلامية، ومختصر السياسة والإدارة في الإسلام في مجلدين، وتركز حديثه على أن التعليم هو أولوية طالبان بعد التحرير، لأنها حركة علمائية في الأصل، جسمها الأعظم من طلبة العلم وقادتها من العلماء، وذكر أن أفغانستان فيها أربعون جامعة حكومية، ومئة وخمسون جامعة خاصة، موزعة على أربعة وثلاثين ولاية هي كل ولايات أفغانستان، وكان للجامعة الأمريكية فرع كبير في العاصمة كابل، لكن أمريكا نقلتها إلى خارج أفغانستان مع الجلاء إلى دولة صديقة، فاتخذها الشيخ حقاني مقرا لوزارة التعليم العالي، وتقرر إنشاء جامعة عالمية في مكانها، تشمل كل الأقسام العلمية والأكاديمية والشرعية.

وحول سؤال وجهه إليه أحد الوجهاء القطريين عن أهم ما تحتاج إليه الوزارة الآن، وما ينبغي أن توجه إليه الجهود عاجلا؟ قال الوزير: توفير حافلات خاصة لنقل البنات إلى المدارس والجامعات، لأن استمرار البنات في التعليم مع الرعاية والصيانة في مقدمة أولوياتنا!

أعداد الضحايا

ثم جاء الدور على معين (وكيل) وزارة شؤون الشهداء والمعاقين الشيخ عبد الحكيم حقاني الذي بيّن أن الحرب الأخيرة على أفغانستان خلفت قرابة مليون يتيم منهم 150 ألفا من أبناء شهداء طالبان، ومع ذلك فإن الحكومة تسوي في المعاملة بين أبناء شهدائها، وأبناء من قاتل مع أعدائها، وتعامل الجميع معاملة واحدة، وتفتح الوزارة باب كفالة اليتيم للمسلمين، لمن أراد جوار النبي الكريم ﷺ، الذي قال: "أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا، وأشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما". رواه البخاري. كما ترعى الوزارة مئتي ألف معاق من جراء الحرب، منهم عشرة آلاف بترت كل أطرافهم.

هذه عينة من محصلة حرب الدول المتقدمة على شعب أفغانستان، الذي استطاع بصبره وجهاده أن يتحرر من سطوتهم وتسلطهم، لكنه يعاني من عدم اعتراف أي دولة مسلمة بهم، في الوقت الذي تهرول قطعان المطبعين للاعتراف بمحتل لأرض فلسطين!!

وقبل أيام سألت مسؤولا كبيرا في دولة إسلامية مهتما بالشأن الأفغاني: لماذا لا تعترفون بحكومة أفغانستان التي دحرت الاحتلال؟ فقال: ليس لدينا مانع من الاعتراف، وكذلك بعض الدول العربية والإسلامية، لكن الكل ينتظر من سيعترف أولًا، حتى لا يتحمل تبعة المبادرة ومغبة الأولية.

وهذا يؤكد ما أصاب الأمة من وهن، وما تعانيه من تكالب الأمم، لكن الدول أيام، والأيام دول.

أفغانستان وواجب الدعم والمؤازرة

تيسير محمد تربان (أبوعبدالله) - فلسطين / غزة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد

يعتبر الشعب الأفغاني المسلم من أهم ركائز قوة المسلمين خصوصاً في الوقت المعاصر، ولقد هزم الله على يديه الإمبراطورية البريطانية والاتحاد السوفيتي وأمريكا رأس العداء للإسلام والمسلمين ومركزيته.

وبعد الانتصار الكبير الذي حققه الشعب الأفغاني المسلم على أمريكا ومرغ أنفها في التراب وأذلها وكسر عنفوانها وهيبتها، كادت له أمريكا فنهبت أمواله وحرضت العالم على محاصرته وعزله عن العالم انتقاماً منه وإمعاناً في التضييق عليه وإفقاره وتجويعه، وهنا كان لزاماً وواجباً على المسلمين جميعاً أن يقفوا مع هذا الشعب الأفغاني المسلم البطل والصادق الصدوق، وأن يدعموه بالمال وكل لوازم الحياة ليبني نفسه ويستقل بذاته.

إن مناصرة الشعب الأفغاني ودعمه بكل أنواع الدعم المادي والمعنوي واجب شرعي على كل مسلم مقتدر كلٌ بقدر استطاعته، ولا يجوز خذلانه وتركه وحيداً يواجه الحصار والفقر وقد تكالبت عليه دول الكفر والطغيان، ولقد قال صلى الله عليه وسلم: "ما من امرئ مسلم يَخْذُلُ امرأً مسلماً في موطن تنتهك فيه حرمته، وينتقص فيه من عرضه، إلا خذله الله في موطن يُحبُّ فيه نُصرته، وما من امرئ ينصر مسلماً في موضع ينتقص فيه من عِرضه، ويُنتهك فيه من حرمته، إلا نصره الله في موضع يحبُ فيه نُصرته".

ولقد حثنا الله تعالى على الإنفاق في سبيله دعماً ومناصرة ومساندة للمسلمين فقال: "مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ * الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ".

فيا أمة الإسلام أغيثوا أهلكم المسلمين في أفغانستان وكونوا لهم عوناً ونصيراً يرحمكم الله ويغفر لكم ويبارك لكم في أرزاقكم وأموالكم، واقتدوا بنبيكم صلى الله عليه وسلم، فعن جرير بن عبد الله رضي الله عنه أنه: "جاء ناس من الأعراب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم الصوف فرأى سوء حالهم قد أصابتهم حاجة؛ فحَثَّ الناس على الصدقة؛ فأبطئوا عنه حتى رُئيَ ذلك في وجهه"، قال: "ثم إن رجلًا من الأنصار جاء بصُرَّةٍ من وَرِقٍ، ثم جاء آخر، ثم تتابعوا حتى عُرِفَ السرورُ في وجهه؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «مَنْ سَنَّ فِي الإِسْلاَمِ سُنَّةً حَسَنَةً؛ فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الإِسْلاَمِ سُنَّةً سَيِّئَةً؛ كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ".

فيا أمة الإسلام؛ كونوا مع إخوانكم المسلمين في أفغانستان، اقضوا حاجاتهم وأعينوا فقيرهم وآزروهم بالدعم المعنوي والمادي بالمال والدواء وغيره..

هذا والله ولي التوفيق والحمد لله رب العالمين



هل تمسح أوكرانيا هزيمة الغرب في أفغانستان ؟!



د ـ أحمد موفق زيدان

كما وحّد الغزو السوفياتي لأفغانستان الغرب أواخر عام 1979، يبدو أنه قد وحّده يوم 2/24 بغزو الرئيس الروسي فلاديمير بوتين لأوكرانيا، فاستطاع الغرب أن يمسح بطريقة أو بأخرى هزيمته الإيديولوجية والعسكرية في أفغانستان. لقد أتى غزو بوتين لأوكرانيا ليشدّ عصب الغرب جميعاً، فتقاطر جميعه، حتى دوله التي ظلت محادية لعقود مثل سويسرا وفنلدا وغيرهما، لتفرض كلها عقوبات على الغازي الروسي، فكان موقفها موحداً عنيفاً ضد الغزو، الأمر الذي أثار تساؤلات كبيرة عن سرّ هذا التوافق الغربي الفجائي تجاه الغزو، بعد أن بدا مشتتاً ومفرقاً عشية الغزو الروسي لأوكرانيا، فأعطى بذلك تطمينات خلبية خادعة لموسكو، وأغراها أكثر في أن تمضي بقرار غزوها دون أن تحسب له تلك العواقب الوخيمة التي تنتظرها اليوم على ما يبدو.

لأيام قليلة قبل غزو بوتين أوكرانيا، كانت مراكز الأبحاث ووسائل الإعلام الغربية تعج بالأخبار والتحليلات عن تداعيات الهزيمة العسكرية الغربية في كابول، والانسحاب الفوضوي الذي صاحب الهزيمة الغربية المدوية في أفغانستان بعد عشرين عاماً من الحرب الهمجية الوحشية المشنونة على الشعب الأفغاني، وبروز مشاكل بين أستراليا وفرنسا، وبين الأخيرة ودول الاتحاد الأوربي.

وكما كان غزو موسكو لأفغانستان عام 1979 عاملاً لوحدة الغرب العلنية الظاهرية ضد موسكو نجد اليوم نفس الغازي سبباً في وحدة الغرب وشدّ عصب التماسك

والتوحد فيما بينه، فروسيا بالعقيدة العسكرية والقومية الغربية عدو حقيقي ومهدد للأمن الغربي، بينما الصين لا تزال في العقيدة العسكرية والقومية الغربية في عداد المنافسين لا الأعداء، مما قد يفسر تباين القوى الغربية في طريقة التعاطي مع الصين، واجتماعها كلها على الرد العنيف والقوي والسريع ضد الغزو السوفياتي في أوكرانيا.

لعل الحديث الذي أورده صحيح مسلم يفسر لنا طريقة الإفاقة الغربية، بعد هزيمته في أفغانستان، وسرعة معالجة ذيول انكساره وهزيمته. ففي صحيح مسلم وغيره عن موسى بن علي عن أبيه قال: قال المستورد القرشي عند عمرو بن العاص: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «تقوم الساعة والروم أكثر الناس فقال له عمرو أبصر ما تقول، قال أقول ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال لئن قلت ذلك إن فيهم لخصالاً أربعاً: إنهم لأحلم الناس عند فتنة، وأسرعهم إفاقة بعد مصيبة، وأوشكهم كرَّة بعد فرَّة، وخيرهم لمسكين ويتيم وضعيف، وخامسة حسنة جميلة وأمنعهم من ظلم الملوك».

مثل هذا الحديث يفسر سرعة تحرّك الغرب لغسل ما لحق به في أفغانستان، فكان أسرع إفاقة مما تخيله الكثيرون، فلم يمض أشهر على هذه الهزيمة حتى استطاع حشد نفسه، وشد عصبه، ليفرض نفسه مجدداً كمايسترو أساسي للعالم ولحروبه ومآسيه، وأن العالم كله يترقب تحركاته وخطواته.

الغرب بشكل عام، وأوربا بشكل خاص لا تتسامح مع وجود حريق في داخلها، ولذا فقد تحركت بسرعة في البوسنة والهرسك، فوقفت إلى جانب المسلمين ضد الصرب، وذلك خشية من أن تمتد الحرب إلى دولها، لاسيما وأنها ترى في روسيا كمتربص بها، فتستفيد من تلك المعارك في إشعال حرب داخل أوربا، وهو ما تخشاه الأخيرة اليوم من الحرب في أوكرانيا، ولذا كان التحرك الأوربي والغربي عاجلاً وسريعاً، فكان دعمه فغير مسبوق لأوكرانيا وبكافة أنواع الأسلحة المتطورة، وحتى بفرض العقوبات الاقتصادية القاسية غير المسبوقة على روسيا.

لقد وجدنا كيف سارع الغرب كله، حتى الدول التي ظلت محايدة لعقود كسويسرا إلى إرسال الأسلحة والذخائر، وتقديم الدعم الاستخباراتي والمالي الضخم لأوكرانيا في مواجهتها مع روسيا، بينما لم يتقدم الغرب لدعم المجاهدين الأفغان في الثمانينيات بصواريخ نوعية كستينغر إلاّ بعد ست سنوات تقريباً على اندلاع الحرب، وهو ما عززه تصريحات إعلاميين غربيين كثر بعنصريتهم التي تفضل بين الغربيين والشرق الأوسطيين، لكن بالمقابل فإن أفغانستان التي كانت عشية الغزو السوفياتي لأفغانستان يحكمها نظام شيوعي وبجانبه حزب شيوعي قوي، ورغم ذلك كله فلم تتمكن من إخضاع الشعب الأفغاني، مما يجعل الوضع أشد صعوبة على روسيا في ظل تضامن نظام أوكرانيا مع الشعب الكاره لروسيا، يغذيه عقيدة قومية كارهة للروسي.

اللافت أن عشاق الحرية الأفغان الذين التحق بهم المقاتلين العرب والمسلمين من كل مكان، هم أنفسهم الذين تحوّلوا لإرهابيين بنظر الغرب بعد أن انتهى تقاطع مصالحه معهم، أما اليوم فالإعلام الغربي يشيد على مدار الساعة بالمرتزقة المتطوعين الذين هبوا استجابة لنداء الرئيس الأوكراني في استقبال كل المتطوعين ومن كل الجنسيات للقتال في صفوفه ضد القوات الروسية، وهو ما دعمه وسانده رئيس الوزراء البريطاني ووزير خارجيته ومسؤولون غربيون كثر، وأعلن رسمياً عن تشكيل الفيلق الدولي لهذا الغرض.



لكن سيظل أن المجاهدين الأفغان هم أول من تجرأ على قوة عظمى كروسيا، لم يدعمهم الغرب بشكل حقيقي إلاّ بعد سنوات على انفرادهم بمواجهة الدب الروسي، أما في مواجهة الأفغان مع أمريكا فلم يكن أحد معهم، بل كانت 38 دولة ضدهم، ومع هذا كان النصر حليفهم، الفارق أن المواجهة مع روسيا استغرقت عقداً، بينما المواجهة مع الغرب بقيادة أمريكا استغرقت ضعف المدة.

هل نملك منهج راشدي لطفرة اقتصادية هائلة في سنة واحدة ؟!

المهندس فراس أبو حمدان



قد تكلمنا مسبقا عن مناهج استرشادية تتبعناها من خلال الدول التي استطاعت أن تحقق قفزات اقتصادية هائلة خلال زمن قياسي، بشهادة دول العالم المتقدمة، لتصعد من قاع الأزمات السياسية والاقتصادية والاجتماعية إلى قمة التقدم الاقتصادي والرفاهية والاستقرار السياسي والاجتماعي، وهذا الزمن القياسي غالبا على أقل تقدير عشرون سنة لتتجاوز أزمتها الاقتصادية بل لترفع المستوى المعيشي لشعبها ولتهبط نسبة الفقر من 55% بل ومنهم 75% إلى أقل من 5%.

لكن هل هناك منهج يرفعنا من قاع الأزمة بكل مناحيها إلى الطفرة التي نتكلم عليها خلال "سنة"، فلا فقر ولا فساد أخلاقي ولا جوع ومجاعات ولا ظلم وتعدي على الأملاك، ولا طغيان سياسي ولا سجون، بل لمجتمع يتميز بالإستقرار السياسي والرخاء الاقتصادي ويتميز المجتمع بالسمو الأخلاقي؟!! هل فعلاً هناك منهج طُبق ليحقق ما سبق في "سنة" وأثبت التاريخ ذلك؟!

إن الذي يجهله العالم كله، إلا قلة قليلة، أن هذه الطفرة الاقتصادية فعلا تحققت على يد خليفة مسلم في سنة واحدة فكان ذلك في مصطلح الاقتصاديين (الذين درسوا منهجه الاقتصادي والذي سنبينه قدر جهدنا في هذا البحث مستعينين بالله نقلا من مصادرها الموثوقة) يسمى معجزة اقتصادية، لأن هذا الخليفة الذي استنار بمنهج

عمر بن الخطاب رضي الله عنه استلم خزينة منهوبة وأملاك مصادرة، وأموال للعامة مغتصبة ومسلوبة من سنوات طوال، وفقر مدقع لشريحة عظيمة من رعاياه، وظلم عم أرض الخلافة وشعوبها، وسجون مليئة بالناس يعذبون بالجوع في أحسن أحوالهم وبالقمل في ملابسهم. إنه حفيد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، إنه عمر بن عبد العزيز رحمه الله، الخليفة الراشد السادس الذي استنار بهدي عمر رضي الله عنه. وبهديه ألّف القاضي الأول أبو يوسف رحمه الله صاحب أبي حنيفة رحمه الله كتابه الخراج بأمر من الخليفة الراشد هارون الرشيد رحمه الله. قال عنه أحمد بن حنبل: "ليس قول أحد من التابعين حجة إلا قول عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه"، وقال ميمون بن مهران: "كانت العلماء مع عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه تلامذة"، المتوازن في التسلسل المنهجي والإبداع المنطقي في التعامل مع الأحداث.

إن من بعض أهداف الإسلام من خلاله تشريعه: تحقيق العدالة الاجتماعية ومن ذلك العملية الاقتصادية، بحيث تتناول جميع طبقات المجتمع فيقارب بين هذه الطبقات فلا يستبد الغني في غناه ويزداد غنا ولا يتردى الفقير بفقره ويزداد فقرا، وبذلك يتحقق عامل رئيسي من العدالة الاجتماعية، وإن من أعظم العوامل التي تدل على الظلم المتفشي في المجتمع ودلالة على الطغيان والضياع السياسي هو فقدان الرفاه أو التقارب الطبقي في المجتمع والمكوس المفروضة من السلطة، الذي يتطلب تصحيحا وإصلاحا اقتصاديا حسب نظام الإسلام.

إن خطط التصحيح الاقتصادي الاستراتيجية في العصر الحديث غالبا عشرينية لتحقيق أهدافها، ومع ذلك حقق عمر بن عبد العزيز نجاحاً منقطع النظير فاق كل دول العالم في وقتنا كما سنرى بإذن الله، وحقق أهدافه التصحيحية بعد سنة، ثم بعد سنتين لم يكن هناك فقير في دولته يحتاج الصدقة من أطراف الصين إلى آخر حدود المغرب والأندلس، يعني 0% من الفقراء. فلا يوجد نظام إصلاحي نافس النظام الإسلامي الذي طبقه عمر بن عبد العزيز رحمه الله، ونجح هذا النجاح المنقطع النظير الذي بشر به نبينا صلى الله عليه وسلم: (ولَئِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ، لَتَرَيَنَّ الرَّجُلَ يُخْرِجُ مِلْءَ كَفِّهِ مِن ذَهَبٍ أوْ فِضَّةٍ، يَطْلُبُ مَن يَقْبَلُهُ منه، فلا يَجِدُ أحَدًا يَقْبَلُهُ منه).

منهجية عمر بن عبد العزيز في إصلاح المجتمع بتحقيق العدل وإزالة الظلم وتطبيق نظام الإسلام الاقتصادي:

لن يتضح أثر الإصلاح الاقتصادي ومعالجة الوضع السيء القائم خلال سنة إلا بالتطبيق الشامل لمنهجية الإسلام بما ذلك الاقتصادية بثبات على الأمر وعزيمة على الرشد، كما أمر الله عز وجل قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ۚ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ) [البقرة: 208]، لأنه يستحيل الإصلاح على سبيل المثال مع وجود الهدر المالي وتبديد الثروة، فلا بد من معالجة للوضع الخطأ، والتقدم إلى تطبيق المنهج الإسلامي بكامل أبعاده، لأن الانتقائية مذمومة في الشريعة الإسلامية قال تعالى:(أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ)[البقرة: 85].

فكانت منهجية عمر تصحيح الوضع القائم، بعدة وسائل تعمل على وقف الهدر المالي، وتصحيح توزيع الدخل على جميع أفراد المجتمع، وقد عمل لتحقيق هذا الأمر من الأيام الأولى لتوليه الخلافة، وذلك من خلال الأعمال والتصورات الآتية:

1. إزالة الظلم من الدولة إزالة شاملة:

أزال الظلم من اقصى الصين إلى أقصى المغرب والأندلس فور مباشرته الخلافة، وقد كانت تعج بالاضطرابات السياسية، والانقسامات الاجتماعية، واقتصاد الدولة مدمر من جراء التعدي على أموال المسلمين ظلما، وفساد الإدارة وانحلال القيم، مما ترك عبئا هائلاً على حركة الاقتصاد، وقد وصف عمر بن عبد العزيز حال البلاد وصفا دقيقا قبل أن تؤول إليه الخلافة، في مقولته الشهيرة: "الوليد بالشام، وقرة بمصر، والحجاج بالعراق، وعثمان بن حيان بالحجاز، امتلأت الأرض والله جورًا":

■ قام بعملية تطهير واسعة لتخليص الخلافة الأموية من الفساد المتراكم منذ عهود، واستبدل رجال الفساد بأهل الإيمان والصدق والعفاف، فقد سنوا تولية الأمراء الجبارين لفرض سلطان بني أمية، فأبطل عمر رحمه الله هذه السنة، وعين كثيرا من العلماء والقضاة أمراء على الولايات أو ممن زكاهم العلماء.

■ وبيض السجون فأخرج جميع المساجين، قال محمد بن يزيد الأنصاري: "بعثني عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه حين ولي فأخرجت من في السجون من حبس سليمان، ما خلا يزيد بن أبي مسلم"، وبعد ذلك لم يحتج عمر إلى هذه السجون ولم يدخلها أحد، بل قيل لم يعاقب أحداً في عهده إلا رجلا كان يزور الدنانير.

■ كما حرص عمر على تحقيق العدل والبدء برد المظالم إلى أهلها، حيث رأى أن إسراف من قبله كان على حساب ممتلكات وأقوات عموم المسلمين، ولم يكتف ببيع كل ما له صلة بالبذخ مما تركه السابقون من الخلفاء، ورد ثمن كل ذلك إلى بيت المال، لكنه حرص على رد المظالم إلى أهلها، فأمر مناديه بأن ينادي في الناس: "ألا من كانت له مظلمة فليرفعها". فجعل لا يدع شيئاً مما كان في يد سليمان الخليفة السابق وفي يد أهل المظالم من

المنتمين إلى النظم السابقة إلا ردها مظلمة مظلمة.

■ وكتب بإبطال أحكام الجور السابقة ولو تطاول بها العهد فكتب "برد أحكامٍ من أحكامِ الحجاج مخالفة لأحكام الناس" لأن من لا يُصلحُ عدلُهُ القديمَ لن يوفق في دفع الظلم الجديد.

■ أوقف كل العقوبات التي كانت صادرة عن سياسة انتقام وبطش، من سجن وجلد وما ابتدعه الظلمة من أحكام الجور، في فترة وجيزة رغم بعد المسافات والبلاد واختلاف اللغات والشعوب وذلك يدل على سعة علمه وحكمته واضطلاعه بالقواعد الشرعية التي تُقَوّمُ المجتمع، وتقضي على الجريمة، وتبني الأخلاق الحسنة، رغم حجم الظلم والجور الذي ملأ الأرض.

■ ورفع الظلم لم يتوقف به عند المسلمين، بل شمل غير المسلمين، لأنهم وحدة إيجابية في المجتمع المسلم، في عملية التكافل والبناء الاجتماعي، قال علي بن أبي حملة: "خاصمنا عجم أهل دمشق إلى عمر بن عبد العزيز في كنيسة كان رجل من الأمراء أقطعها لبني نصر بدمشق فأخرجنا عمر عنها وردها إلى النصارى"، وكذلك "لم يزل أهل قبرص على صلح معاوية حتى ولي عبدالملك بن مروان فزاد عليهم ألف دينار فجرى ذلك إلى خلافة عمر بن عبدالعزيز فحطها عنهم"، "ولما استخلف عمر بن عبدالعزيز، وفد عليه قوم من أهل سمرقند، فرفعوا إليه أن قتيبة دخل مدينتهم وأسكنها المسلمين على غدر، فكتب عمر إلى عامله يأمره أن ينصب لهم قاضياً ينظر فيما ذكروا فإن قضى بإخراج المسلمين أخرجوا، فَنُصِبَ لهم جميعُ بنُ حاضرٍ الباجي، فحكم بإخراج المسلمين على أن ينابذوهم على سواء، فكره أهل مدينة سمرقند الحرب وأقروا المسلمين فأقاموا بين أظهرهم".

■ وسعى أن يرَّسخ الاستقرار السياسي لأنه مقدمة للاستقرار الاقتصادي، فحين علم الخوارج بأفعاله العادلة، وما رده من مظالم لأهلها، وإسقاط الجزية عمن أسلم من أهالي البلدان المفتوحة، اجتمعوا وقالوا: ما ينبغي لنا أن نقاتل هذا الرجل. وأبدى عمر بن عبد العزيز تسامحه معهم وقام بإجراء المحاورات والمناظرات معهم، وأرسل إلى البعيد منهم مكاتبات يهدف بها جميعها إلى تقويم تياراتهم الفكرية المعوجة.

■ ألغى عمر بن عبد العزيز المكوس التي فرضها من قبله من الأمراء على التجارة، لكن لم يتهاون في الزكاة وجبايتها وتنظيمها وتوزيعها وفق ما أمر الله عز وجل.

■ وأوقف طرق مصادرة الأملاك المتبعة مسبقا ظلمًا وعدواناً، وأمر بإرجاع تلك التي استولى عليها الولاة والأمراء السابقين، ولو بعد سنين طوال، لأن من لا يُصْلِح عدله القديم لن يُوَفَّق في دفع الظلم الجديد، وأمر بإعادة هذه الأموال إلى أصحابها إذا عرفوا أو إلى بيت المال، إذا لم يعرف أصحابها، أو كانت من الأموال العامة، وكتب عمر بن عبد العزيز إلى عماله في مال قبضه بعض الولاة ظلماً فأمر برده إلى أهله وتؤخذ زكاته لما مضى من السنين ثم عقب ذلك، بأن لا يؤخذ منه إلا زكاة سنة واحدة، فإنه كان ضماراً.

■ وكان يقول: "إن ما في يدي بني أمية من الأموال مظالم يجب أن تعاد للمسلمين"، فبدأ بنفسه حيث كان كبقية أمراء بني أمية في حياة الترف والرفاهية، حتى إذا تولى الخلافة حذا حذو جده عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وكان يعتبر هذه الأموال مظالم وقال: "إنه لينبغي أن لا أبدأ بأول من نفسي"، فنظر إلى ما في يديه من أرض أو متاع فخرج منه حتى نظر إلى فص خاتم، فقال: "هذا مما كان الوليد بن عبد الملك أعطانيه مما جاءه من أرض المغرب"، فخرج منه ورد كل ذلك لبيت المال.

■ وثنى بأهل بيته فقال عمر بن عبد العزيز لامرأته فاطمة بنت عبد الملك، وكان عندها جوهر أمر لها أبوها به لم يُرَ مثله: "اختاري؛ إما أن تردي حليك إلى بيت المال، وإما تأذني لي في فراقك، فإني أكره أن أكون أنا وأنت وهو في بيت واحد، قالت: لا؛ بل أختارك يا أمير المؤمنين عليه، وعلى أضعافه لو كان لي، قال: فأمر به، فحُمِل حتى وُضِع في بيت مال المسلمين، فلما مات عمر واستخلف يزيد بن عبد الملك، قال لفاطمة: إن شئت يردونه عليك، قالت: فإني لا أشاؤه، طبت عنه نفسًا في حياة عمر، وأرجع فيه بعد موته؟! لا والله أبدًا، فلما رأى ذلك قسمه بين أهله وولده".

■ وانحنى على مظالم بني أمية فأعاد المصادرات والممتلكات ونزعها منهم، وأوقف تعديهم على المال العام والخاص، وقام بتمزيق مستندات هذه الأملاك، وهي مظالم وجوائز وهدايا ومخصصات استثنائية وضياع وقطائع، جمعت على شكل ممتلكات ثابتة أو نقود قدرها عمر بن عبد العزيز شطرا كبيرا من أموال المسلمين تجاوز النصف. ولم يكن ذلك بالأمر السهل بل واجه عنتا وصدودا من الأمراء وتهديدا فتعامل مع هذا الأمر بكل حزم وقوة، بل وصل به الأمر أن يهدد البيت المرواني الأموي بالذبح إذا لم يخضعوا لأمر الله: جمع عمر بني مروان فقال لهم: "يا بني مروان إني أظن نصف جميع مال الأمة عندكم فأدوا بعض ما عندكم إلى بيت مال المسلمين. فقال هشام: لا يكون والله ذاك حتى تذهب أرواحنا، فغضب عمر وقال: أما والله يا بني مروان إن لله فيكم ذبحا ولولا أن تستعينوا علي بمن أطلب هذا المال له لأضرعت خدودكم". وعن إسماعيل بن أبي حكيم قال: أتى عمر بن عبد العزيز كتاب من بعض بني

مروان فأغضبه، فاستشاط غضبا ثم قال: "إن الله في بني مروان ذبحا، وايم الله، لئن كان الذبح على يدي. فلما بلغهم ذلك كفوا، وكانوا يعلمون صرامته، وأنه إن وقع في أمر مضى فيه". وللعلم فقد وقع ما حكم فيه عمر بن عبد العزيز من الذبح في بني مروان بعده باثنين وثلاثين سنة من ظلم من جاء بعده من الولاة وتعديهم على المسلمين وأموالهم.

■ رفع الضرر عن العامة وضمان ما أتلف من أموالهم إذا ما تعارضت المصلحة العامة مع الخاصة: فقد تحتاج الدولة إلى بعض الأمور والتي قد تتعارض مع المصلحة الفردية لأفراد المجتمع، تحت أي سبب أو حاجة تقتضي ذلك الاستخدام، والذي قد يلحق الضرر بمصلحة الفرد، فإن الدولة تُغَرِّمُ هذا الإضْرَار قال سعيد بن عثمان عن غيلان بن ميسرة: "أن رجلا أتى عمر بن عبدالعزيز فقال: زرعت زرعا فمر به جيش من أهل الشام فأفسدوه فعوضه عشرة آلاف درهم" هذا التعويض دافعٌ للأفراد بأن يستمروا في المشاركة والتفاعل مع النهج الإصلاحي، وأنهم ينتمون إلى مجتمع يقدر الجهد المبذول.

2. أوقف الهدر المالي من بيت مال المسلمين وأمر بمبدأ القوامة في الإنفاق:

فاتبع سياسة مالية لم يشهدها العهد الأموي وهي سياسة الحرص على المال العام، فقام بترشيد الإنفاق الحكومي، فهو بحق رائد هذا الفن، حتى الأمور التي يُستهان بقيمة مصروفها أو ثمنها، حرص على عدم هدر هذا المال، فأعاد بذلك سيرة الخلفاء الراشدين خصوصا عمر بن الخطاب رضي الله عنه واقعا ملموسا:

■ أوقف الإسراف المبالغ فيه على شؤون الخلافة المتعلق بمظاهر الزينة والرفاهية، والبذخ على كثرة الخيول والبغال المعينة لخدمات انتقال الخليفة وحاشيته، وتعدد العاملين على إدارة تلك الخدمات من سائسين وغيرهم، والإسراف في الثياب الجديدة الفاخرة للخليفة وحاشيته، والإسراف في الأثاث والمفروشات والعطور والأطعمة، فأعلن عمر بن عبدالعزيز أن ذلك يخالف ما كان موجوداً في عهد النبوة وعهد الخلفاء الراشدين من قبله، وبالتالي أمر ببيع كل تلك المقتنيات ورد ثمنها إلى بيت مال المسلمين، ومصاريف الزينة والرفاهية التي كانت للخليفة وجعل ذلك كله في بيت مال المسلمين: جاءه أصحاب مراكب الخلافة يسألون عمر بن عبد العزيز العلوفة ورزق خَدَمِها، قال: ابعثوا بها إلى أمصار الشام يبيعونها، واجعلوا أثمانها في مال الله، تكفيني بغلتي هذه الشهباء. فقد اتخذ قرارات تنم على حرص شديد على أموال المسلمين فكان أول إجراء له بعد توليه الخلافة هو انصرافه عن مظاهر الخلافة، إذ قربت إليه المراكب، فقال ما هذه؟ فقالوا: مراكب لم تركب قط، يركبها الخليفة أول ما يلي فتركها وخرج يلتمس بغلته، وقال: يا مزاحم - يعني مولاه - ضم هذه إلى بيت مال المسلمين، ونصبت له سرادقات وحجر لم يجلس فيها أحد قط، يجلس فيها الخليفة أول ما يلي، قال يا مزاحم ضم هذه إلى أموال المسلمين، ثم ركب بغلته، وأنصرف إلى الفرش والوطاء الذي لم يجلس عليه أحد قط، يفرش للخلفاء أول ما يلون، فجعل يدفع ذلك برجله، حتى يفضي إلى الحصير، ثم قال: يا مزاحم ضم هذه لأموال المسلمين. وقس عليه مظاهر البذخ والإسراف التي تجري عادة في اجتماع الولاة من دعاية واعلام متكلف يمكن الاقتصاد فيها، والفرش والسجاد وإيجارات اجتماع القاعات وطباعة اللوحات الكبيرة التي تستهلك أموالا كثيرة. فكل مظاهر الاسراف من الحكومة على الاجتماعات والزخرفة والإعلام والإسراف في الولائم لدعوة وجهاء الناس والتجار لكسبهم أو مظاهر اجتماع صاحب السلطان معهم إنما هو على حساب ممتلكات وأقوات العامة من الشعب.

■ وحرر بيت المال من الأعباء المالية الراتبة عليه كاستحقاقات فردية للأمراء والمتنفذين أوجبها لهم من سبقه من الخلفاء.



■ ووجه ولاته إلى تجنب أي اسراف وأن يقتروا من المصاريف، واشتد في ذلك: وأخذ إجراءات لمحاربة الإسراف في الدولة، فكتب الى أميره على المدينة أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم قائلا: "أما بعد فقد قرأت كتابك تذكر فيه انه كان يقطع لمن كان قبلك من امراء المدينة من الشمع كذا وكذا يستضيئون به في مخرجهم، فابتليت بجوابك فيه، لعمري لقد عهدتك يا ابن ام حزم وأنت تخرج من بيتك في الليلة الشاتية المظلمة من غير مصباح، ولعمري انت يومئذ خير منك اليوم ولقد كان في فتائل اهلك ما يغنيك والسلام" وكتب إليه: "إذا جاءك كتابي هذا فأرق القلم، وأجمع الخط واجمع الحوائج الكثيرة في الصحيفة الواحدة، فإنه لا

حاجة للمسلمين في فضل قول أضر ببيت مالهم والسلام عليك". ذلك هو شأن عمر في كل أمر يخص مال المسلمين، صغر أو كبر ومع كافة الولاة، فكان يسعى للتوفير والاقتصاد في الإنفاق من بيت المال، ليحول بذلك دون الإسراف والبذخ.

■ وحرَّم استخدام العامل أو السلطان للمال العام للمسلمين وهدره في أموره الخاصة، وألزم برد ما تم أخذه من دون وجه حق أو برد قيمته، حيث يروى أن غلاما كان يقوم على خدمته وكان يأتي له كل يوم بماء "ساخن" لكي يتوضأ به. وذات مرة انتبه الخليفة فسأله عن مصدر ذلك الماء المسخن، وعرف أنه يتم تسخينه في "مطبخ العامة". فتوقف الخليفة فوراً عن استخدامه واتبع منهجا موضوعيا فريدا من أجل رد ما يرى أنه حصل عليه من دون حق من المال العام للمسلمين.

3. وضع آلية عمل فورية لتوسيع موارد الدولة وبناء رأسِ مالها المستقل، وإعادة توزيع الدخل توزيعاً عادلا:

وكما أزال المظالم قديمها وجديدها، وأوقف هدر المال العام، وأرشد نفقات القطاع العام والخاص، اتبع النظام الاقتصادي الإسلامي، فخطط لتوسيع موارد الدولة وبناء رأس مالها المستقل، وأعاد توزيع الدخل توزيعاً عادلاً، حتى أصبح المال في العام الثاني في متناول جميع طبقات المجتمع، فحقق بالنهج الإصلاحي الاستقرار بكل أبعاده، على المستوى السياسي والاجتماعي والاقتصادي. وحقق للمسلمين حلم "الرفاه الاقتصادي" أو "العدل في توزيع الثروة"، فكان عمر بن عبد العزيز ينظر دائماً إلى المال على أنه وسيلة لتحسين أحوال الرعية وليس وسيلة للمنافع الشخصية، تمثلت آلية عمله اختصارا بالتالي:

■ وضع نفسه في حالة طوارئ حيث وصفها لمّا بُويع بالخلافة، حين أرسل إلى نسائه: "من أرادت منكن الدنيا فلتلحق بأهلها فإن عمر قد جاءه شغل شاغل"، وكتب إلى الحسن البصري يقول له: "إني قد ابتليت بهذا الأمر فانظروا إليّ أعوانا يعينوني عليه"، فحقق خلال عامين ونصف تقدماً اقتصادياً في المجتمع الإسلامي الممتد من الصين شرقاً إلى الأندلس غرباً كله ولم يبقى فقيرا واحدا على امتداد هذه المساحة يأتي ليأخذ الزكاة، أما في الدول التي حققت نهضة اقتصادية كبرى مثل كوريا الجنوبية وماليزيا بقيت عندهم نسبة فقراء بنسبة



5% على أقل تقدير، أي بمئات الألوف أو حتى تتجاوز عدة ملايين ،كما في أمريكا أقوى الدول اقتصادا كما يزعمون. فكان عامه الأول عام إصلاح وترميم، وما بعد ذلك جاء الاستقرار الاقتصادي الشامل، إضافة إلى الاستقرار السياسي والاجتماعي.

■ وأول ملامح هذا النظام احترامه لإرادة الشعب، فكانت الشورى ركن من أركان خلافته في كل المجالات السياسية والعسكرية والاقتصادية، حيث كان عمر يهتم باستطلاع آراء الرعية في الخطوات الاقتصادية الإصلاحية التي كان يقوم بها، ولذلك لم يعترض عليها المسلمون ولم يثوروا عليه، بل كانوا يؤيدونه ويدعمونه دائماً. وكانت خططه وأفكاره الاقتصادية تجد طريقها للتنفيذ بسهولة ويسر لأن رائدهم جميعا الشرع الكريم.

■ اتخاذ البطانة الصالحة والإيجابية والفعالة في البناء الإصلاحي، حيث اوصى من حوله برده الى الحق إذا مال عنه، مؤكدا أن لقائل الحق سلطاناً.

■ محاربة الرشوة وإغلاق مداخلها بأسماء وهمية كالهدية، حيث رفض الهدايا وكان يقول انها كانت للنبي صلى الله عليه وسلم هدية وهي لنا رشوة.

■ وكان هَمُّ عمر بن عبد العزيز الأول التخفيف من الأعباء الاقتصادية على الناس، ولذلك فور استلامه الخلافة أسقط المكوس "الضرائب" (أو ما يسمى رسوماً زورا وبهتانا ليلبسوا على الناس دينهم)، كالمكوس التي تؤخذ من بائعي السلع في الأسواق (كما كان يحدث في أسواق الجاهلية قبل الإسلام)، أو تؤخذ ممن يدخل البلد من التجار، وبالتالي كانت إجراءً ظالماً ينطوي على تحصيل جبايات أو مكوس من الناس من دون حكم شرعي ويزيد التكاليف على الناس أضعافا مضاعفة. ولأن عمر رحمه الله يؤمن أن فرض الزكاة على المسلم، والجزية والعشور والخراج على الذمي تكفي لتوفير مصادر التمويل العام، وبالتالي يحرم فرض الضرائب والجبايات على الناس، فأسقط عمر بن عبد العزيز المكوس كلها، وذم ولاتها إن حثوه على فرض شيء من المكوس بأي علة غير شرعية، فألغى المكس عن كل أرض وألغى فرض الجزية عن كل من أسلم. قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله: "وأما المكس فإنه البخس الذي نهى الله عنه فقال {ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين} غير أنهم كنُّوه باسم آخر". وهذا مشاهد عند الحكام الظلمة قديما وحديثا من جهلهم وسوء طويتهم وبخلهم وطمعهم، كنزوا المال وفرضوا المكوس على الناس، وسموها زورا رسوما، فكانت النتيجة أن قلت وارداتهم وعم الفقر وأبغضهم الناس وانمحقت البركة. وكما قالت د. زينب صالح الأشوح أستاذة الاقتصاد بجامعة الأزهر: الاقتصاد الوضعي يقوم أساساً على أن هناك مشكلة ندرة في الموارد بالنسبة للاحتياجات، أما الاقتصاد الإسلامي كما يؤمن عمر رحمه الله وهي سنة نبوية وراشدية أنه ليس هناك ندرة في الموارد على الإطلاق بل إن أمر استثمار هذه الموارد لتغطية الاحتياجات المتزايدة يتوقف على علم الإنسان وعمله وأيضًا إيمانه بأن ظهور الفساد في البر والبحر مردُّه إلى ما كسبت أيدي الناس (وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) [الأعراف:96].

■ وأقر عمر بن عبد العزيز حرية التجارة والكسب والاستثمار في البر والبحر بدون قيود ومكوس طالما تمت في إطار طاعة الله وتنفيذ أوامره وتجنب نواهيه، وبين أن الحرية في ممارسة التجارة الحرة المشروعة تعتبر نوعا من الدعوة إلى الله والإسلام ونشر تعاليمه عبر البر والبحر. وفي ذلك يقول عمر بن عبد العزيز: "وإن طاعة الله التي أنزل في كتابه أن يدعى الناس إلى الإسلام كافة. وأن يبتغي الناس بأموالهم في البر والبحر، ولا يمنعون ولا يحبسون". ويؤكد عمر أهمية البحر كالبر في ابتغاء الأرزاق، فكان مما كتب: "وأما البحر، فإنا نرى سبيله سبيل البر، قال الله تعالى: (اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) "، فأذن أن يتجر فيه من شاء، ورأى ألا يحول بين أحد من الناس وبينه، فإن البر والبحر لله جميعاً، سخرهما لعباده يبتغون فيهما من فضله، فكيف نحول بين عباد الله وبين معايشهم؟! وبذلك نستنبط من مقولته الأخيرة إفادة اقتصادية أخرى وهي اعتبار التنقل عبر البر وعبر البحر من الخدمات الواجب أن تكون مجانية بلا رسوم تدفع لاعتبار البر والبحر ذاتهما من الممتلكات العامة المرفوض تخصيصها لأحد، حيث إن البر والبحر هما لله جميعاً. وتتأكد تلك الحقيقة بدورها من قول عمر في موضع آخر: "أطلق الجسور والمعابر للسابلة يسيرون عليها من دون جَعْل، لأن عمال السوء تعدوا غير ما أمروا به".

■ وقضى على احتكار القلة بإصدار تعليمات بأن من اشترى شيئا من أرض الخراج بعد سنة مائة فإن بيعه مردود، حتى لا تتجمع الأرض بأيدي فئة من الأغنياء، وحتى لا يتعطل توزيع مصادر الدخل، وتتوقف مشروعات التنمية والاستثمار.

■ حمى كرامة المسلمين وصان كرامة المجتمع من تعدي الولاة واجتهاداتهم الظالمة: وهذه قاعدة للتنمية الاقتصادية لأن الفرد في المجتمع إذا صان الوالي كرامته يشعر بالانتماء للإمارة، ويسعى جهده لتحقيق عمليات الإصلاح، ويبذل جهده في التنمية والاستثمار، ويندفع أفراد المجتمع للعمل والإنتاج. ولانتشار أجواء الأمن والعدل فقد زاد الإنتاج حيث اندفع الناس للإنتاج والتنمية والإصلاح والتعمير وإحياء الأرض: عندما "كتب الجراح

بن عبدالله إلى عمر بن عبد العزيز إن أهل خراسان قوم ساءت رعيتهم، وإنه لا يصلحهم إلا السيف والسوط، فإن رأى أمير المؤمنين أن يأذن لي في ذلك"، فكتب إليه عمر بن عبد العزيز "أما بعد فقد بلغني كتابك تذكر أن أهل خراسان قد ساءت رعيتهم وأنه لا يصلحهم إلا السيف والسوط، فقد كذبت بل يصلحهم العدل والحق فابسط ذلك فيهم والسلام" وذلك لأن الشخصية المقهورة أو المهانة لا تصلح في مشروعات التنمية والإصلاح أو تكون صادقة الانتماء.

■ ومن مظاهر العدالة الاجتماعية المقررة في ديننا الحنيف كما وُضّح في سنة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وطبقت في النظام الاقتصادي لعمر بن عبد العزيز: تحديد الحد الأدنى والحد الأعلى للأجور والدخول المعيشية وتحديد معيار التصنيف، حيث لم ينتظر الخليفة أن تقوم ثورة من أجل التفكير الرشيد الموضوعي في ذلك الأمر. فقرر أن يكون الحد الأعلى لأجر العامل ثلاثمئة دينار. ولم يكتف بمعيار تغطية الحاجات الأساسية المعيشية كسبب لتحديد ذلك الحد، لكنه أخذ في اعتباره ما لا يفطن إليه كثيرون غيره، وهو ضمان أمانة العامل في عمله، وعدم خيانة المسلمين. ويتجلى ذلك في رواية عن أبن أبي زكريا أنه قال للخليفة: "قد بلغني أنك ترزق العامل من عمالك ثلاثمئة دينار. قال: نعم، قال: ولِم ذلك؟ قال: أردت أن أغنيهم عن الخيانة". أما المدهش العجيب فكان في تقتير عمر على نفسه رغم توسيعه على عماله، حيث لم يضمن لنفسه ذلك القدر من الأجر، وحرم نفسه من أن يأخذ أي نصيب من الفيء. أما الحد الأدنى فاستنبطه من خلال قصته مع الشيخ الجزري الضرير الذي لا يجد من ينفق عليه، فقرر له الخليفة خمسة وثلاثين ديناراً كنفقة معيشة، موضحا معياره في ذلك التقدير وهو أنه "ثمن قائد لا كبير يقهره، ولا صغير يضعف عنه". وهو ما يمكن أن يطلق عليه حد "الكفاية والاستغناء عن الآخرين". وكان الخليفة يعتبر نفسه مسؤولا عن الإنفاق على من لا مال له، حتى إن تم ذلك من ماله الخاص، كما فعل مع رجل يحتاج إلى نفقة لينفقها على أهله فقال له الخليفة: "خذ هذا الذهب فأنفقه على عيالنا إلى أن يخرج لي عطائي مع المسلمين أو يقضي الله قبل ذلك"، انظروا كيف سمى عيال الرجل عياله أيضا لأنه من رعاياه وكما قال الرسول صلى الله عليه وسلم "أنا لكم مثل الوالد لولده" يعني في الرأفة والرحمة.

■ اتبع سياسة الإصلاح قبل الجباية، وتيسير أمور التجار والمزارعين بإقامة المشاريع الاقتصادية العامة مثل الجسور والقناطر والسواقي والطرق العامة وقنوات المياه الزراعية والإصلاح والتعمير وإحياء الأرض وإقامة المشاريع، وأمر ببناء المرافق العامة، والتي تسمى اليوم بمشاريع البنية التحتية، ولا تقوم التنمية إلا بهذه المرافق الضرورية من أنهار وترع ومواصلات وطرق. وقد أكد عمر على مبدأ الحرية الاقتصادية المقيدة بضوابط الشريعة، والتي يجب أن تسبق الجباية. فانتشر الناس في تجارتهم واستثمار أموالهم واهتم كذلك اهتمامًا بالغًا بالزراعة، حيث كان القطاع الزراعي من أكبر القطاعات على المستوى الفردي، وله مردود كبير على ميزانية الدولة، وقد جنى عمر والأمة كلها ثمرات هذه السياسة، فقد عمَّ الرخاء البلاد والعباد، قال رجل من ولد زيد بن الخطاب: "إنما ولي عمر بن عبد العزيز سنتين ونصفًا وذلك ثلاثون شهرًا فما مات حتى جعل الرجل يأتينا بالمال العظيم فيقول: اجعلوا هذا حيث ترون في الفقراء، فما يبرح حتى يرجع بماله، يتذكر من يضعه فيهم فما يجده، فيرجع بماله، قد أغنى عمر بن عبد العزيز الناس".

■ قمع محاولات التزوير أو العمل على التضخم المالي: وذلك لعمل توازن بين الأموال النقدية وحاجة السوق، ولحفظ القيمة الشرائية لعملة البلد، وعندما أتوا برجل إلى عمر بن عبد العزيز يضرب على غير سكة السلطان فعاقبه وسجنه وأخذ حديده فطرحه في النار.

■ وكان يمنع ولاته من الاتجار والعمل في التجارة وقال رحمه الله: "ونرى أن لا يتجر إمام ولا يحل لعامل تجارة في سلطانه الذي هو عليه فإن الأمير متى يتجر يستأثر ويصب أمورا فيها عنت وإن حرص على أن لا يفعل".

■ زيادة الإنفاق على الفئات الفقيرة والمحرومة ورعايتها وتأمين مستوى الكفاية لها عن طريق الزكاة وموارد بيت المال الأخرى، وقد قام بتنفيذ هذه السياسة، حيث كانت سياسة عمر تهدف على إيصال الناس إلى حد الكفاية: فقد خطب الناس يوما فقال: "وددت أن أغنياء الناس اجتمعوا فردوا على فقرائهم حتى نستوي نحن وهم وأكون أنا أولهم". وفي خطبة أخرى: "ما أحد منكم تبلغني حاجته إلا حرصت أن أسدَّ من حاجته ما قدرت عليه وما أحد لا يسعه ما عندي إلا وددت أنه بُدِئ بي وبلحمتي الذي يلونني حتى يستوي عيشنا وعيشكم". وقد طبق عمر قوله عندما أمر بقضاء دين الغارمين فكتب إليه عامله: "إنا نجد الرجل له المسكن والخادم، وله الفرس والأثاث في بيته، فأجاب عمر: لا بدَّ للرجل من المسلمين من مسكن يأوي إليه رأسه وخادم يكفيه مهنته، وفرس يجاهد عليه عدوه، وأثاث في بيته، فهو غارم فاقضوا عنه"، فسياسة عمر التوزيعية تهدف إلى كفاية الناس من حيث المسكن والمركب والأثاث، وهي عبارة عن حاجات أساسية، وضرورية للإنسان تصعب الحياة بدونها.

■ وكان دائما يوجه كتبه لولاته يحثهم على العمل الدؤوب وأن يسعوا لما فيه استفادة في تشغيل أموال بيت المسلمين بما يعود بالخير على بيت مال المسلمين. فقام ببناء المشروعات التنموية المستمرة بالعطاء،

وتسهيل مهمة المستثمرين، وتقديم القروض لهم، لضمان استمرار هذه المشروعات، حيث كلف الولاة بإعطاء القروض التي تزيد الإنتاج عند أفراد المجتمع. وبذلك نجح عمر بن عبد العزيز في ترسيخ عوامل الثقة في الإصلاح الاقتصادي على مستوى الراعي والرعية وحل مشكلة العجز المالي والمديونية التي كانت تعاني منها الدولة في عهد عبد الملك بن مروان، ونجح في تعزيز الالتزام الطوعي لقوانين الدولة وعالج مديونية الأفراد من الوفر المالي في الموازنة، ورفع مستوى الدخل للأفراد وحقق الرفاه الاجتماعي للمجتمع.

4. عنايته الخاصة بالمزارعين والزراعة:

وكان له عناية خاصة بالمزارعين وراعى مدى المصاعب التي تجهدهم وتؤدي بهم غالبا للغرق في الديون، فاتبع سياسة وخطوات ترمي إلى تحسن حال المزارع وزيادة الإنتاج الزراعي للأمة وإليك تفصيل هذه الخطوات:

■ وضع المكوس "الضرائب" عن المزارعين، التي فرضها الخلفاء الأمويين قبله والتي أثقلت كاهل المزارعين بالديون، وكانت من الكثرة والتنوع بحيث اشتد الأمر على أهل الأرض فهجروها، وأضرَّ ذلك بمالية الدولة، فلجأ هؤلاء الخلفاء المكاسين إلى أساليب الاضطهاد في الجباية، فاضطر المزارعون إلى بيع دوابهم أو كسوتهم، وعندما تولى عمر ألغي جميع الضرائب المخالفة للشريعة، وكتب بذلك إلى العمال كتباً منها: "فإن أهل الكوفة قد أصابهم بلاء وشدة وجور في أحكام الله، وسنة خبيثة استنها عليهم عمال السوء.. ولا تأخذن في الخراج إلا وزن سبعة، ليس لها آيين (رسوم مساحي أرض الخراج) ولا أجور الضرابين، ولا هدية النيروز والمهرجان، ولا ثمن الصحف ولا أجور البيوت".



■ وقد ألغى القبالة (الرجل المسؤول عن تحصيل الخراج يأخذ مقابل ذلك قدرا من المال من صاحب الأرض) وكانت مألوفة في البصرة، وألغى أسلوب الخرص؛ حيث كان العمال يقدرون الثمار بسعر عالٍ ويقبضونه نقدًا، وبذلك يرهقون الزراع، فقرر عمر وضع الضريبة حسب الأسعار الفعلية وكتب لعامله: "بلغني أن عمالك بفارس يخرصون الثمار ثم يقومونها على أهلها بسعر فوق سعر الناس الذي يتبايعون ثم يأخذون ذلك ورقًا على قيمتهم التي قوموها، وقد بعثت بشر بن صفوان وعبد الله بن عجلان للنظر في ذلك ورد الثمن الذي أُخذ من الناس إلى ما باع أهل الأرض به غلاتهم".

■ وأمر عمر بإلغاء ضريبة ثابتة على أهل اليمن، كالخراج مع أن أرضها أرض عشرية، وكتب إلى عامله على اليمن: "أما بعد، فإنك كتبت إليَّ أنك قدمت اليمن فوجدت على أهلها ضريبة من الخراج مضروبة ثابتة في أعناقهم كالجزية يؤدونها على كل حال، أخصبوا أو أجدبوا أو حيوا أو ماتوا، فسبحان الله رب العالمين ثم سبحان الله رب العالمين، إذا أتاك كتابي هذا فدع ما تنكره من الباطل إلى ما تعرفه من الحق ثم ائتنف (ابتدئ) الحق فاعمل به بالغًا بي وبك وإن أحاط بمهج أنفسنا، وإن لم ترفع إليَّ من جميع اليمن إلا حفنة من كتم، فقد علم الله إني بها مسرور إذا كانت موافقة للحق والسلام". ويلاحظ من كتب عمر إلى عماله الانحرافات السابقة الظالمة وإنكار عمر لها، وقد كان لها أثر اقتصادي سيء حيث جعلت أصحاب الأرض يضعفوا عن أرضهم ويتركوها فضعف الإنتاج وترتب على ذلك خسارة للبلاد ولبيت المال، وأما عمر بن عبد العزيز فكان مُصرًّا على تطبيق الحق ولو اذهب بنفسه، فهو لا يريد إيرادًا كثيرًا طالما جُمِعَ ظلما، فساهمت إصلاحات عمر رحمه الله في إلغائه للضرائب الجائرة إلى انتعاش اقتصاد الدولة.

■ وشجَّع عمر على إحياء الأرض الموات وعلى إصلاح الأراضي للزراعة، وكتب بذلك إلى عامله على الكوفة: "لا تحمل خرابًا على عامر ولا عامرًا على خراب، انظر إلى الخراب فخذ منه ما أطاق، وأصلحه حتى يعمر، ولا تأخذ من العامر إلا وظيفة الخراج في رفق وتسكين لأهل الأرض". وكتب عمر: "من غلب الماء على شيء فهو له"، وعن حكيم بن زريق قال: قرأت كتاب عمر بن عبد العزيز إلى أبي: "من أحيا أرضًا ميتة ببنيان أو حرث، ما لم تكن من أموال قوم ابتاعوها من أموالهم، أو أحيوا بعضًا وتركوا بعضًا، فاجز للقوم أحياءهم الذي أحيوا ببنيان أو حرث"، وحرص عمر على استغلال أرض الصوافي، ورأى أن "ملكيتها لبيت المال، ومنع الإقطاع منها وأمر بإعطائها مزارعة على النصف فإن لم تزرع فعلى الثلث، فإن لم تزرع فأمر بإعطائها حتى تبلغ العشر فإن لم يزرعها أحد فأمر بمنحها، فإن لم يزرعها أحد فأمر بالإنفاق عليها من بيت المال".

■ وقضى عنهم ديونهم ورفع الضرر عنهم، ويُروى في ذلك أن جيشًا من أهل الشام مر بزرع رجل فأفسده، فأخبر الرجل عمر بذلك، فعوضه عشرة آلاف درهم، وكان يقدم القروض للمزارعين، فقد جاء في رسالته لواليه على العراق: "أن انظر مَن كانت عليه جزية فضعف عن أرضه فأسلفه ما يقوى به على عمل أرضه فإنا لا نريدهم لعام ولا لعامين".

■ ومنع عمر الحمى الخاص وأباح هذه الأراضي للمسلمين جميعًا، لا تختص بها طائفة على أخرى وفي ذلك يقول: "ونرى أن الحمى يُباح للمسلمين عامة، وكانت تحمى وتجعل فيها نِعَمُ الصدقات، فيكون في ذلك قوة ونفع لأهل فرائض الصدقات، وأدخل فيها وطعن فيها طاعن من الناس، فنرى في ترك حماها والتنزه عنها خيرًا، إذا كان ذلك من أمرها، وإنما الإمام فيها كرجل من المسلمين، وإنما هو الغيث ينزله الله لعباده فهم فيه سواء"، وعندما أباح الإحماء كلها استثنى النقيع الذي حماه الرسول عليه الصلاة والسلام لإبل الصدقة. فبالحمى تصبح الأرض لجماعة المسلمين، ونفعها مصروف لهم، فالحمى نقل الأرض من الإباحة إلى الملكية العامة، لتبقى موقوفة على جماعة المسلمين.

سياسة عمر بن عبد العزيز المالية في إيرادات بيت المال:

كما كان لنظام عمر بن عبد العزيز في اتباع هدي الخلفاء الراشدين في زيادة واردات بيت المال والذي تمثل برفع الظلم سواء كان قديما أو جديدا وترشيد ووقف هدر الأموال والمقدرات، ووضع المكوس عن الأمة والاكتفاء بالموارد الشرعية من زكاة وخراج وغيرها والإنفاق على الفقراء ومشاريع التنمية سواء الخدمية أو التي تتعلق بتنمية الزراعة والتجارة، كذلك اتبع سياستهم في إنفاق هذه الموارد على الأمة كالتالي:

1. بدأ عمر سياسته المالية بزيادة الإنفاق على عامة الشعب خصوصا الفقراء إذ حظوا عنده بنصيب وافر، حتى أصبحت الصدقات في عهده لا تجد من يأخذها، فأنفق في رد المظالم حتى أنفد بيت مال العراق، وجلب إليه من الشام،
2. وساوى بين الأمويين وبين الناس وقال: "لن يتسع مالي لكم، وأما هذا المال فإنما حقكم فيه كحق رجل بأقصى برك الغماد" وجعل العرب والموالي (العجم) سواسية في العطاء، وكان الأمويون يفضلون العرب. ومنع الولاة الذين يأخذون رواتب من تقاضي اعطياتهم،
3. وأنفق على المشاريع الزراعية، ومشاريع البنى الأساسية،
4. كما أنفق على الرعاية الاجتماعية لجميع طبقات الشعب،
5. وكلما زادت الواردات، وجه عمر الفائض الزيادة على الإنفاق العام لزيادة التنمية الاقتصادية وإكفاء الأمة فلا يعود هناك سائلا.

وفي جانب الإيرادات:

1. رفع الجزية عمَّن أسلم.
2. وألغى الضرائب الإضافية التي كانت تُؤخذ من المزارعين، وألغى المكوس والقيود.
3. كما حافظ على حقوق بيت المال المسلوبة، فأعاد إليه القطائع، والمظالم.
4. وأوقف امتيازات الأمراء والموظفين.
5. وبالغ في الاقتصاد في الإنفاق الإداري والحربي.

كل ذلك أدى إلى إطلاق الطاقات، فنمت الزراعة والتجارة، وجنى ذلك بزيادة ونمو الإيرادات، فزادت إيرادات الزكاة والخراج والعشور وفاضت ميزانية الدولة، فوجَّه عمر الفائض لزيادة الإنفاق العام لتحقيق الأهداف الاقتصادية، ونلاحظ في التاريخ كلما استقام أمر الدولة وسارت على نهج الشريعة الإسلامية الغرّاء فاض ميزانها المالي، ولم يشعر أفرادها بعسف ولا إرهاق، ولم تهمل مصلحة من مصالحها، وكلما أعوج أمر الدولة، وحادت عن سبيل الشريعة، اختل التوازن المالي، فميزانية الدولة مرآة عدلها وجورها ونظامها وفوضاها.

إيرادات بيت المال زمن عمر بن عبد العزيز:

1. الزكاة:

تهاون الولاة قبل عمر بن عبد العزيز رحمه الله في الزكاة، حيث أخذوها من غير حقها، وصرفوها في غير مصارفها، فأدى ذلك إلى تهرب المسلمين من دفعها لهؤلاء الظلمة، ونقصان حصيلة أموال الزكاة، وبالتالي عانى مستحقوها الفقر والدين وما يجلب ذلك من بؤس

ومصائب وهوان على مستحقيها.
لكن سيرة عمر وتقواه قد أثرت على دفع الزكاة للدولة مباشرة لزيادة الثقة بين الحاكم والمحكوم، وهذا واضح من تدافع الناس لأداء الزكاة عندما سمعوا بخلافة عمر، فأدى إلى زيادة حصيلة أموال الزكاة وزيادة آثارها الاقتصادية عند إنفاقها في مصارفها. إن سياسة عمر في التزام نظام الإسلام من وقف هدر واردات بيت المال، ووقف استيلاء الفاسدين عليها، وإعادة المصادرات لبيت المال أولا، وحرصه على زكاة المسلمين لأنها حق فرضه الله للفقراء والمساكين والمنقطعين، والمستعبدين، ولا يجوز التهاون فيها ثانيا، واهتمَّامه بتوزيعها على مستحقيها ثالثا، كانت سببا أن يسعى الناس جهدهم لأداء حق المال الذي هو الزكاة إلى بيت مال المسلمين.
فأمر ولاته بالبحث عن مستحقيها وإعطائهم حقهم، وفي حالة عدم وجود فقراء أو مساكين أو محتاجين، أمر عمر بشراء رقاب المستعبدين واعتقاهم من مال الزكاة. وعزم عمر على اتباع هدي النبي صلى الله عليه وسلم في الزكاة، ومن مظاهر اتباعه للسنة فيها:
1. طلبه لكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصدقات، ولكتاب عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأمره بأن تنسخ هذه الكتب فنسخت له وكانت تشتمل على صدقة الإبل والبقر والغنم، والذهب، والورق، والتمر، والحب، والزبيب وبيّنت الأنصبة لكل هذه الأصناف.
2. واتبع عمر السنة في مصارف الزكاة، فاستشهد بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (التوبة: 60) ثم أمر أن توضع الصدقات كما أمر الله تعالى في كتابه.
3. كما اتّبع عمر السنة في جباية الزكاة فعين عمالاً ثقاة مؤتمنين وأمرهم بجبايتها دون ظلم أو تعدٍ وأمرهم بكتابة براءة إلى الحول لدافعها.
4. وأمر عمر بأخذ الزكاة من جميع الأموال التي تجب فيها، فأخذت من عطاء العمال ومن المظالم إذا رُدّت لأصحابها، ومن الأعطية إذا أخرجت لأهلها.
5. وأكد عمر على أحقية كل قوم بزكاتهم إذا لم يستغنوا، وعندما أحضر العمال الزكاة إلى عمر أمرهم بردّها وتوزيعها في البلاد التي جمعت منها.

ولقد ساهمت سياسته الاقتصادية إلى زيادة تحصيل الزكاة، فتوفيره لأجواء الأمن والطمأنينة، واهتمامه بإقامة المشاريع الأساسية للزراعة والتجارة، واتباعه لسياسة الحرية الاقتصادية حسب الشرع الإسلامي، وإلغاؤه للضرائب الظالمة، أدَّت جميعًا إلى ازدهار التجارة والزراعة وإلى زيادة حصيلة الزكاة، وقد كان عمر رحمه الله من الموسعين لإيتاء الزكاة، برز هذا من خلال فقهه في زكاة الثروة الزراعية، وزكاة الإبل العامة، وزكاة السمك، وزكاة العسل، وهذا الفقه من شأنه أن يزيد الأموال الخاضعة للزكاة، مما يؤثر على زيادة جبايتها وبسبب زيادة الدعوة زمن عمر، ودخول أهل الذمة في الإسلام أفواجًا فقد أدى ذلك لإسقاط الجزية عنهم وعن أملاكهم إلا أنه رفع من حصيلة الزكاة من أغنيائهم.
وتؤكد الروايات التاريخية أن الزكاة كانت فائضة عن حاجات الناس في ذلك الزمن، فكان الرجل يأتي بزكاته، فلا يجد مَن يأخذها، ومن أسباب هذا الفائض اندفاع أفراد المجتمع للعمل والإنتاج، فكثر عدد المؤدّين للزكاة، وانخفاض عدد القابضين لها وبذلك صارت نسبة الفقر 0% وهو لم يحدث لأي دولة غير دولة الإسلام ولأي نظام غير نظام الإسلام، فتطور اقتصاد البلد يتم قياسه بنسبة الفقر ومستوى الدخل الذي ارتفع في زمن عمر ليكتفي الفرد فيكون عنده بيت ملك له، وخادم وفرس وسلاح لجهاده، وعطاء سنوي وأرزاق شهرية غير أملاكه وتجارته، فأين ذلك من الدول العظمى التي تفتخر باقتصادها ونسبة الفقر عندهم قد تزيد على 7% فلا يجدون طعامهم إلا من التوسل ناهيك عن انعدام مسكن يأويهم.

2.1 الجزية:

الجزية في الاصطلاح: هي الوظيفة (الضريبة) المأخوذ من الكافر لإقامته بدار الإسلام في كل عام والأصل فيها الكتاب والسنة والإجماع، وقد قام عمر بن عبد العزيز باتباع السنة في إيراد الجزية، فقد أسقطها عمَّن أسلم، لأن الجزية فرضت على الكافرين وتسقط بالإسلام، ومع ذلك فقد استمر بعض خلفاء بني أمية في أخذ الجزية ممن أسلم، فأخذها الحجّاج لظنّه أنهم دخلوا الإسلام هربًا من الجزية، ولقد أدى ذلك إلى زيادة النقمة على الحجَّاج وعلى الأمويين، وعندما تولى عمر الخلافة سارع إلى إلغاء الجزية عن المسلمين، وتشدَّد في ذلك، وكتب إلى العمال كتابًا جاء فيه "مَن شهد شهادتنا واستقبل قبلتنا واختتن فلا تأخذوا منه الجزية". ولما سمع أهل الذمة عن عدالة عمر وسيرته سارعوا للدخول في الإسلام، فشكا عامله ذلك؛ لأنه أدى إلى نقصان الجزية، فأجابه عمر: "أما بعد، فإنَّ الله قد بعث محمدًا داعيًا ولم يبعثه جابيًا"، ولأن عمر اعتمد في سياسته على ترسيخ قيم الحق والعدل، ورفع الظلم عن أهل الذمة ورفق بمزارعيهم وفرض الجزية عليهم حسب المقدرة المالية للفرد، فجعلها على ثلاث طبقات للغني وللمتوسط وللفقير، وجعل صاحب الأرض يعطي جزيته من أرضه، والصانع يخرجها من كسبه، والتاجر من تجارته، وفرض الجزية حسب طاقة البلاد المالية، فجعلها على أهل الشام أكثر منها على أهل اليمن بسبب غناهم ويسارهم، ورفع الجزية عن الفقراء الذين لا يستطيعون دفعها، وأجرى عليهم رزقًا من بيت المال، كما فعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وخفَّضَ عمر الجزية عن أهل نجران حيث أمر بإحصائهم، فتبين له أن عددهم نقص إلى

العشر، وجزيتهم بقيت كما هي، فأخذ منهم مائتي حلة بدلاً من ألفين، وأسقط جزية مَن مات أو أسلم، وقد كانت للإصلاحات في جباية الجزية آثار مالية لصالح بيت المال، فإسقاط الجزية عمن أسلم أدّى إلى زيادة الثقة بين الحاكم والمحكوم والشعور بالعدل والإنصاف، وبالتالي أدّى إلى إيقاف القلاقل والفتن التي كلّفت الدولة نفقات طائلة، كما إنَّ إسلام كثير من أهل الذمة جعلهم يدفعون الزكاة بدل الجزية، والزكاة مقدارها أكبر، هذا مع استمرار دفع الخراج على الأرض، أما انتشار أجواء الأمن والعدل فقد زاد الإنتاج حيث اندفع الناس للإنتاج والتنمية.

3. الخراج:

هو ما تأخذه الدولة من ضرائب على الأرض المفتوحة عنوةً أو الأرض التي صالح أهلها عليها. لقد ارتفع إيراد الخراج في زمن عمر بن عبد العزيز وبلغ مائة وأربعة وعشرين مليون درهم وكانت زمن الخليفة الذي قبله أربعون مليونا. وكانت هذه الزيادة في إيراد الخراج نتيجة لسياسته الإصلاحية خلال سنة فقط، فقد منع بيع الأرض الخراجية فحافظ على المصدر الرئيسي للإنتاج، كما اعتنى بالمزارعين، ورفع عنهم الضرائب والمظالم التي كانت تعوق إنتاجهم واتبع سياسة الإصلاح والإعمار وإحياء الأرض الموات، كما اهتمَّ ببناء مشاريع البنية الأساسية للقطاع الزراعي فبنى الطرق والقنوات، فمشاريع الطرق سهلت على المزارعين تسويق إنتاجهم، ومشاريع القنوات والآبار سهلت عليهم سقي محاصيلهم بكلفة أقل، كل هذه الإصلاحات الخراجية أثمرت في النهاية وأدَّت إلى ارتفاع الخراج زمن عمر، فقد بلغ خراج العراق في عهده مائة وأربعة وعشرين مليون درهم، وهذا المقدار أكبر مما جُبي في العهود السابقة، فقد بلغ خراج العراق زمن الحجاج أربعين مليون درهم، وفي عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه مائة مليون درهم. أما خراج خراسان زمن عمر بن عبد العزيز فقد كان فائضًا عن حاجات الدولة وبلغ الخراج زمن عمر أقصى قدر ممكن أن يبلغه في الأحوال العادية. وهذا الارتفاع في مقدار الخراج يشير إلى قوة الدولة المالية، مما ساعد على تحقيق الأهداف الاقتصادية من دعم مشاريع البنية التحتية والمشاريع الإنتاجية والإنفاق على الطبقات الفقيرة والعاجزة، ذلك لأن إيراد الخراج يتسم بالمرونة من حيث مصارفه بعكس الزكاة فهي محددة المصارف.

4. العشور:

في الاصطلاح: ما يؤخذ على تجار أهل الحرب وأهل الذمة عندما يجتازون بها حدود الدولة الإسلامية، فتؤخذ العشور من تجارة الحربي العُشر ومن تجارة الذمي نصف العشر، ولا تؤخذ في السنة لنفس المال إلا مرة واحدة ونصابها عشرون دينارًا للحربي، وعشره للذمي، وقد اهتم عمر بن عبد العزيز بإيراد العشور فوضَّح مبادئها للعمال، وأمر بكتابة كتاب لدافعها لإعفائه منها للحول القادم، كما منع قبض العشور، والتي كانت تفرض على الناس بغير حق، وقد نشطت التجارة في عهده وتوافرت موارد جديدة للدولة واستطاع أن يوظفها للإنفاق العام وكانت الإجراءات التي اتخذها عمر لتنشيط الحركة التجارية كالآتي:

- إلغاء الضرائب الإضافية التي كانت مفروضة على القطاع الزراعي: وقد انعكس هذا إيجابًا على القطاع التجاري في صورة انخفاض ملحوظ في أسعار السلع الزراعية، فزاد في الطلب عليها، وأحدث رواجًا في تجارتها، وفي ظل اقتصاد قوامه الزراعة فإن زيادة عرض السلع الزراعية وانخفاض أثمانها على النحو الذي واكب السياسة الرشيدة لعمر بن عبد العزيز أحدث رواجًا لا في التجارة فحسب، ولكن في بقية قطاعات الاقتصاد الإسلامي.
- إلغاء الضرائب على القطاع التجاري، والاقتصار على العشور: وكان لهذا تأثير ايجابي على قطاع التجارة، وقد أدى إلى تشجيع مزاولة التجارة، وزاد من أرباح التجارة فزاد معها حجم المبادلات التجارية.
- إلغاء أسلوب العنف في تحصيل مستحقات الدولة المالية على التجار وغيرهم: وهذا أيضًا من عوامل تشجيع التجارة وتنميتها.
- عمل استراحات على طريق التجارات مع بلاد الشرق: ومطالبة الولاة على البلاد التي توجد بها هذه الاستراحات بأن يضيفوا من مرَّ بهم من المسلمين المسافرين يومًا وليلة، وأن يتعاهدوا دوابهم على حساب الدولة ومضاعفة هذه المدة لمَن يشكو منهم علة، وبالنسبة لمن مرَّ بهذه الاستراحات وكان منقطعًا أو سُرقت تجارته أو تُلفت لأي سبب، فكان يُعطى من المال ما يكفيه للوصول إلى بلده، ولا يخفى ما كان بهذه التسهيلات والضمانات من عوامل تشجيع للتجار وللتبادل التجاري.
- منع العطاء عن التجار: حتى تكون التجارة مصدر رزقهم الوحيد فيهتموا بها أكثر وينشطوا فيها، لا سيما وأن التجارة كانت في ذلك الوقت متعبة من حيث السفر، والترحال، لعدم توفر وسائل المواصلات المريحة التي نشاهدها اليوم.
- قضاء ديون كل مَن أدان في غير سفه ولا سرف: ويدخل ضمنهم التجار إن لم يكونوا جلهم، وقد أدى هذا القرار إلى إقالة عثرات التجار الذين أفلسوا ومكَّنهم من العودة إلى مزاولة التجارة، وخاصةً تلك الفئة من التجار الذين بدأوا تجارتهم عن طريق اقتراض رأس المال المطلوب.
- الحرص على ضبط ومعايرة وتوحيد المكاييل والموازين في كافة أنحاء الدولة: وجعل ذلك من مواد القانون الأساسي للدولة.
- منع الولاة والأمراء من الاشتغال بالتجارة: حتى لا

يكون في دخولهم السوق إفساد للمنافسة الشريفة بين التجار، أو تأثير على الأسعار لصالحهم، وحتى لا يكون هناك شبهات وتجاوز في حق الرعية حين ينشغل الحكام بأعمالهم وتجارتهم الخاصة. قال في كتاب له إلى عماله: "نرى ألاّ يتجر إمام، ولا يحل لعامل تجارة في سلطانه الذي هو عليه، فإن الأمير متى يتجر يستأثر ويعيب أموراً فيها عنت، وإن حرص ألاّ يفعل"، وبعد ثمانية قرون جاء ابن خلدون وكتب في مقدمته العظيمة بعد تجارب طويلة ودراسة واسعة ما يصدق عمر بن عبد العزيز في نظرته الثاقبة وحكمته البالغة قال: إن التجارة من السلطان مقترة بالرعايا معسرة للجباية.

■ منع الاحتكار، ومن ذلك: إعادته دكاكين بحمص كانت في يد مجموعة من أهل السوق، وكان ابن الوليد بن عبد الملك قد استولى عليها، وحولها إلى ملكية خاصة له، فنزعها وأعادها إلى أصحابها، وبهذا الموقف ووجود هذه الإجراءات الإصلاحية، ساهمت في ازدهار الحركة التجارية في عهد عمر بن عبد العزيز، وبذلك زادت حصيلة إيرادات العشور، وتوافرت موارد جديدة للدولة استطاع عمر أن ينفقها على الصالح العام.

5. خمس الغنائم والفيء:

الغنيمة في الاصطلاح: ما استولى عليه المسلمون من أموال الكفار المحاربين عنوةً وقهرًا حين القتال، والفيء في الاصطلاح: كل مال وصل من المشركين من غير قتال ولا بإيجاف خيل ولا ركاب، فعندما تولى عمر الخلافة توجه لإصلاح الأوضاع الداخلية للدولة لذلك لم تكثر الفتوحات في زمانه، حيث استعاض عنها بالدعوة والقدوة الحسنة، فقد بعث بكتب للملوك والشعوب فدخل البربر في الإسلام بدون قتال، ولهذا لم تتحقق موارد كثيرة من خمس الغنائم زمن عمر، وما كان موجودًا في بيت المال منه كان مصدره الفتوحات السابقة. ومع ذلك فقد سعى لإصلاح موازنة خمس الغنائم، فقد جعل للخمس بيت مال مستقل عن الأموال الأخرى، وأمر بوضعه في مواضعه المذكورة في سورة الأنفال، وآثر به أهل الحاجة منهم حيث كانوا. وقد أمر بعشرة آلاف دينار من سهم ذوي القربى فقسَّمها في بني هاشم وساوى بين الذكر والأنثى، والصغير والكبير، فكتبت إليه فاطمة بنت الحسين تشكر له ما صنع وتقول: يا أمير المؤمنين قد أخدمت مَن كان لا خادم له واكتسى منهم مَن كان عاريًا، واستنفق من كان لا يجد ما يستنفق، ولقد تمسك عمر في حق الخمس، فلما فتحت الأندلس قبل خلافة عمر لم يخمسوها، فأمر عامله عليها أن يبين العنوةَ من أرضها ويأخذ منها الخمس.

وأما في تصرفه في الفيء، فقد كان متبعًا للقرآن والسنة وسيرة الخلفاء الراشدين، فقد كتب كتابًا ذكر فيه عن الأموال والقرى التي أفاء الله بها على رسوله صلى الله عليه وسلم مما لم يوجف عليه المسلمون بخيلٍ ولا ركاب، واستدل بآيات سورة الحشر التي نزلت في ذلك، وبيَّن أن ما من أحد من المسلمين إلا له حق في الفيء، فقد ذكرت الآيات المهاجرين والأنصار ومن جاء بعدهم من المسلمين بعد الهجرة الأولى حتى تنقضي الدنيا. وهو بذلك كان موافقًا لاجتهاد عمر بن الخطاب في جعل الفيء موقوفًا على أجيال المسلمين. ونظر عمر في مصارف الخمس فوجدها موافقة لمصارف الفيء، فرأى أن يضمه إليه كما فعل عمر بن الخطاب، ويصرف منها على جميع مصالح المسلمين، وكتب في ذلك كتابًا: "وأما الخمس فإن من مضى من الأئمة اختلفوا في موضعه، ووضع مواضع شتى فنظرنا فإذا هو على سهام الفيء في كتاب الله لم تخالف واحدة من الاثنتين الأخرى، فإذا عمر بن الخطاب رحمه الله قد قضى في الفيء قضاءً قد رضي به المسلمون، فرض للناس أعطية وأرزاقًا جارية لهم، ورأى أن لن يبلغ بتلك الأبواب ما جمع من ذلك، ورأى أن فيه لليتيم والمسكين، وابن السبيل، فرأى أن يُلحق الخمس بالفيء وأن يوضع مواضعه التي سَمَّ الله وفرض. فاقتدوا بإمامٍ عادلٍ فإن الآيتين متفقتان آية الفيء وآية الخمس، فنرى أن يُجمعا جميعًا فيُجعلا فيئًا للمسلمين ولا يستأثر عليهم".

لقد ساعدت إصلاحات عمر في إيرادات الخمس والفيء على تحقيق أهداف سياسته الاقتصادية، فتوزيعه للخمس على الأسهم المذكورة في القرآن مع إيثاره لذوي الحاجة أينما وجدوا ساعد على تحقيق إعادة توزيع الدخل والثروة، وشعر الناس بالعدل وزوال الظلم، بسبب هذه السياسة الرشيدة السديدة.

سياسة الإنفاق العام لعمر بن عبد العزيز:

1. إنفاق عمر على الرعاية الاجتماعية:

لتحقيق هدف إعادة توزيع الدخل والثروة سعى عمر إلى زيادة الإنفاق على الفقراء والمحتاجين، وتأمين الرعاية الصحية والاجتماعية لهم، وهذه مطالب شرعية جاءت في القرآن الكريم والسنة النبوية، ولقد اهتمَّ منذ الأيام الأولى لخلافته باتباع الشرع والتزام الحق والعدل، فأرسل إلى العلماء يستفسر وقد كتب ابن شهاب الزهري لعمر كتابًا عن مواضع السنة في الزكاة ليعمل بها عمر فذكر فيها: "إن فيها نصيبًا للزمنى والمقعدين (أصحاب العجز الأصلي) ونصيبًا لكل مسكين به عامة لا يستطيع عَيْلة وتقليبًا في الأرض (أصحاب العجز الطارئ كالعامل الذي يُصاب في عمله والمجاهد الذي يصاب في الحرب). ونصيبًا للمساكين الذين يسألون ويستطعمون الغني حتى يأخذوا كفايتهم ولا يحتاجون بعدها إلى سؤال، ونصيبًا لمَن في السجون من أهل الإسلام ممن ليس له أحد، ونصيبًا لمَن يحضر المساجد الذين لا عطاءَ لهم ولا سهم (أي ليست لهم رواتب ومعاشات منتظمة) ولا يسألون الناس، ونصيبًا لمَن أصابه فقر وعليه دين ولم يكن شيء منه في معصية الله، ولا يُتهم في دينه، ونصيبًا

لكل مسافر ليس له مأوى، ولا أهل يأوي إليهم، فيؤوى ويُطعم وتُعلف دابته حتى يجد منزلاً أو تُقضى حاجته".

2. إنفاق عمر على الرعاية الاجتماعية:

اعتنى بالفقراء والمساكين، وسعى إلى إغنائهم، ففرض للفقير الجائع والمريض الضائع، والعاري المجهود، والمظلوم المقهور، والغريب المأسور، والكبير، وذي العيال في أقطار الأرض، فأعطى لرجل ذي عيال خمسمائة دينار حتى يخرج عطاؤه، وأعطى الأرامل وبناتهن، وخصصّ عمر دارًا لإطعام الفقراء والمساكين وأبناء السبيل، واعتنى بالمرضى وذوي العاهات والأيتام، فقد كتب كتابًا إلى أمصارِ الشام: "ادفعوا إليَّ كل أعمى في الديوان أو مقعد، أو من به فالج، أو من به زمانة، تحول بينه وبين القيام إلى الصلاة، فرفعوا إليه، فأمر لكل أعمى بقائد، وأمر لكل اثنين من الزمنى بخادم، ثم كتب ارفعوا إليّ كل يتيم، ومن لا أحد له، فأمر لكل خمسة بخادم يتوزعون بينهم بالسوية".

3. الإنفاق على الغارمين:

كتب ابن شهاب الزهري لعمر عن سهم الغارمين: "لمَن يصاب في سبيل الله في ماله، ولمَن أصابه فقر، وعليه دين لم يكن شيء منه في معصية الله، ولا يُتهم في دينه"، فأمر عمر بقضاء الدين عن الغارمين، فكتبوا إليه، إنا نجد الرجل له المسكن، والخادم، وله الفرس والأثاث في بيته، فكتب عمر: "لا بد للرجل من المسلمين من سكن يأوي إليه رأسه، وخادم يكفيه مهنته وفرس يجاهد عليه عدوّه، وأثاث في بيته، وإلا فهو غارم فاقضوا عنه". وكتب إلى والي الكوفة وقد اجتمعت عنده أموال فسأل عمر عنها فأجاب: "كتبت تذكر أنه قد اجتمعت عندك أموال بعد أعطية الجند، فأعط منهم مَن كان عليه دين في غير فساد، أو تزوَّج فلم يقدر على نقد والسلام، وكتب كتابًا قُرِء في مسجد الكوفة: من كانت عليه أمانة لا يقدر على أدائها فأعطوه من مال الله، ومن تزوَّج امرأةً فلم يقدر أن يسوق إليها صداقها فأعطوه من مال الله".

4. الإنفاق على الأسرى:

اهتمَّ عمر بن عبد العزيز بالأسرى وبالإنفاق عليهم من بيت مال المسلمين، وفكَّ رقاب الأسرى، وعالَ أسرَهُم في أثناء غيابهم، واهتمَّ بالسجناءِ في سجون المسلمين بسبب جرمٍ أو قصاص، فأمر عمر برعايتهم والإنفاق عليهم وكتب عمر إلى العمال: "لا تدعُنّ في سجونكم أحدًا من المسلمين في وثاقٍ لا يستطيع أن يصلي قائمًا، ولا يبيتنّ في قيد إلا رجل مطلوب بدم، وأجروا عليهم من الصدقة ما يُصلحهم في طعامهم وإدامهم". وأمر لأهل السجون برزقٍ وكسوةٍ في الصيف والشتاء.

5. الإنفاق على المسافرين وأبناء السبيل:

فأمر عماله ببناء بيوتِ الضيافة على الطرق لرعاية المسافرين والاهتمام بهم، وكتب إلى أحد عمَّاله: "اعمل خاناتٍ في بلادك، فمن مرَّ بك من المسلمين فأقروهم يومًا وليلة وتعهدوا دوابهم، فمن كانت به علَّة فأقروه يومين وليلتين، فإن كان منقطعًا به فقوّوه بما يصل به إلى بلده"، وأمر عمر بالاهتمام بالحُجَّاج، والإنفاق عليهم ورعاية ضعيفهم وإغناء فقيرهم.

6. الإنفاق لفك الرقاب:

بعد أن أنفق عمر على الفقراء والمساكين، والعاجزين، والغارمين وأبناء السبيل وأسرى المسلمين وجَّه الأموال لفك رقاب المستعبدين، وقال عامل صدقات إفريقية: بعثني عمر بن عبد العزيز على صدقات إفريقية فاقتضيتها، وطلبت فقراء نعطيها لهم فلم نجد بها فقيرًا، فاشتريت بها رقابًا وولاؤهم للمسلمين.

7. الإنفاق شمل جميع فئات الأمة:

فشمل العلماء واعتنى بذلك عناية عظيمة، لكي يتفرغوا لدعوةِ الناس وتعليمهم، وشمل الإنفاق جميع فئات الأمة حتى الأطفال الصغار وحدّد لهم مبلغًا من المال ليستعين به ذووهم على تربيتهم، واهتمَّ بمواطنيه من أهل الذمة، فكان ينفق على فقرائهم ومحتاجيهم من بيت المال، فساهمت سياسة عمر بن عبد العزيز الراشدة في إغناءِ عددٍ كبيرٍ من المسلمين وزيادة ثرواتهم في المجال التجاري والزراعي وغيرها، وساهمت في سريان روح التدين وحب الآخرة في نفوس الناس ورغبوا في الإكثارِ من فعل الخيرات ابتغاء مرضات الله تعالى والرغبة فيما عند الله، فكثر الإنفاق في سبيلِ الله لمساعدة الفقراء والمساكين والأرامل وبناء المرافق العامة وحفر الآبار، وتشييد المساجد وغير ذلك، وهذا يُخفف الأعباء المالية على بيتِ مال المسلمين في العاصمة وأقاليمها الواسعة.

- عمر بن عبد العزيز معالم التجديد والإصلاح الراشدي على منهاج النبوة - تأليف الدكتور علي محمد محمد الصلابي

- الدولة الأموية عوامل الإزدهار وتداعيات الإنهيار الشيخ الفاضل الدكتور علي محمد محمد الصَّلاَّبيّ

- عمر بن عبد العزيز وتحقيق الرفاه الاقتصادي – موقع الخليج - د. زينب صالح الأشوح

- سيرة عمر بن عبدالعزيز - محمد بن عبد الله بن عبد الحكم



معالم على طريق الجهاد





مصطفى حامد

صورتـان يفصل بينهمـا أكثـر مـن خمسـة وثلاثيـن عامـاً. إنهمـا للقائـد الجهـادي الكبيـر سـراج الديـن حقانـي. وكان والـده مولـوي جـلال الديـن حقانـي أشـهرالقادة المجاهديـن فـي مرحلـة الاحتـلال السـوفييتي والحكـم الشـيوعي فـي أفغانسـتان.

■ الصـورة الأولـى: يعـود تاريخهـا إلـى شـهر يوليـو مـن عـام (1986). وفيهـا الشـاب الناشـئ سـراج الديـن وهـو فـي قاعدة جـاور يجلـس منتظراً التحرك مـع قافلة متجهـة إلـى مناطـق قبائـل زدران، لينضـم إلـى والـده الـذي سـيذهب إلـى هنـاك علـى رأس مجموعتـه الخاصـة مـن المسـاعدين والحـراس و القـادة الميدانييـن.

وهنـاك فريـق ثالـث يضـم الأخويـن إبراهيـم وخليـل شـقيقا حقانـي، وكانـا قـد ذهبـا إلـى ولايـة أورجـون المجـاورة لإحضـار صواريـخ ونقلهـا إلـى أطـراف جرديـز، ليسـتخدمها شـقيقهم الشـهيد إسـماعيل فـي الهجـوم علـى أهـداف عسـكرية حكوميـة.

البرنامـج كان خطيـراً ومعقـداً ويشـمل جـولات بيـن القبائـل يقـوم بهـا حقانـي لتجديـد بيعتهـم علـى الجهـاد، خاصـة بعـد الإرهـاق الـذي أصـاب الجميـع مـن معركـة جـاور فـي أبريـل الماضـي. وكانـت القـوات الحكوميـة تحتشـد فـي جرديـز. وكبـار قـادة النظـام فـي كابـول يهـددون باجتيـاح مناطـق زدران، ومنهـم وزيـر الدخليـة القـوي "جـولاب زيـن" وهـو مـن نفـس القبيلـة.

ومـن المفارقـات أن منصـب وزيـر الداخليـة حاليًـا يشـغله المجاهـد الكبيـر سـراج الديـن حقانـي، الـذي كان فـي ذلـك الوقـت شـابًا صغيـرًا يرافـق والـده فـي جولاتـه علـى قبائـل زدران ويرافـق أعمامـه الثلاثـه فـي مجهودهـم العسـكري ضـد قـوات الحكومـة فـي جرديـز.

- رافقتُ مولـوي حقانـي فـي جولتـه التـي كانـت حدثًـا تاريخيًـا. وأكـدت التفـاف القبائـل حـول زعامـة مولـوي حقانـي، وعزيمتهـم علـى إكمال طريـق الجهـاد حتـى النصـر. كانـت الاجتماعـات القبليـة حاشـدة، وإكـرام القبائـل لحقانـي يفـوق الوصـف. وقـد اسـتفدت (بـدون قصـد طبعـا) مـن ذلـك الكـرم الهائـل أنـا وصديقـي الشـهيد عبدالرحمـن المصـري. وأشـد مـا أدهشـنا لـم يكـن لحـوم الذبائـح الوفيـرة بقـدر مـا كان (البصـل الأخضـر المدهـش) لمنطقـة "فخـري".

- كنـت طـوال الوقـت أضـع يـدي علـى قلبـي خوفًـا مـن غـارات الطيـران علـى التجمعـات المدنيـة الحاشـدة والمتحمسـة. وبعـد انتهـاء الجولـة صارحـت مولـوي حقانـي بمخاوفـي، فقـال لـي: (إن تلـك الجولـة أثبتـت خلـو مناطقنـا مـن الجواسـيس، وإلا لهاجمنـا الطيـران وقتـل المئـات مـن السـكان).

■ الصـورة الثانيـة: وهـي بتاريـخ الخامـس مـن مـارس 2022 يظهـر فيهـا القائـد سـراج الديـن حقانـي، الـذي يشـغل منصـب وزيـر الداخليـة. فـي حكومـة الإمـارة الإسـلامية بعـد طـرد الغـزاة الأمريكييـن وهزيمتهـم المدويـة. وكان سـراج الديـن يشـكل كابوسًـا علـى الاحتـلال، حتـى وضعـوه علـى رأس قائمـة الأعـداء الذيـن يجـب التخلـص منهـم.

- فـي الصـورة يظهـر الوزيـر سـراج الديـن وهـو يشـرف علـى تخريـج دفعـة مـن ضبـاط وزارة الداخليـة وقواتهـا الضاربـة التـي أحـرزت انتصـارات هائلـة علـى جيـوش سـريّة تركتهـا أمريـكا فـي أفغانسـتان لتخريـب الأمـن الداخلـي ومنـع بنـاء الاقتصـاد وأجهـزة الإمـارة.

حقاني مرة أخرى يتصدر قائمة أعداء الاحتلال

لـم تتوقـف مسـيرة القائـد سـراج الديـن التـي تابـع فيهـا خطـى والـده العظيـم لأكثـر مـن خمسـة وثلاثيـن عامًـا. وفيهـا قدمـت العائلـة عشـرات الشـهداء مـن إخـوة سـراج الديـن، وأبنـاء عمومتـه وأقاربـه.

لـن تهـزم أفغانسـتان وفيهـا مثـل هـؤلاء الرجـال. ولـن تسـقط رايـة الإسـلام وفـي المسـلمين شـعب مثـل شـعب أفغانسـتان.



فشلٌ... جُرّبَ مرّتين

أبو عبدالله

الجمهورية نظام حكم متداول في عصرنا يطبل له الكثيرون، لكنها لم تتحقق عمليا في أي بلد من البلدان الإسلامية، بل كانت دائما وسيلة لتخدير الشعوب وتحميقها واستحمارها باسم الرأي والانتخاب والديموقراطية والدولة المدنية وحكم الشعب...
فكان القرار دائما بيد عصبة فاسدة من الجنرالات يحكمون حسب أهوائهم ورغباتهم، وكلما اعترض الشعب على الأوضاع الموجودة الفاسدة؛ بادر هؤلاء الجنرالات إلى قمعهم وأسكتوهم بحجة أنهم انتخبوا الدولة....
فالذي ينتخبه الجمهور في الأنظمة الجمهورية يرى نفسه فوق الدستور والقانون والجميع، وهو مخدوم وليس بخادم، وهو سائل وليس بمسؤول. هكذا خطط الغرب للجمهوريات في العالم الإسلامي، وهكذا كانت في أرض الواقع، ففي أكثر الأنظمة الجمهورية المعاصرة والتي خبرناها، لم نجد فيها كرامة للمواطن، فلا المال فيها مصون، ولا الدماء فيها محفوظة، ولا الأعراض فيها محظورة.
ثمّ الجمهوريات دائما كانت توفّر للقوى الكبرى فرصة التدخل والتلاعب بمصير البلاد الضعيفة، فأكثر البلاد الضعيفة ذات الحكم الجمهوري، لا تتمتع باستقلالية، بل تتلاعب القوى الكبرى بمصيرها السياسي والثقافي والعسكري، كيف شاءت.
أما في أفغانستان فيمرّ نصفُ قرنٍ على الجمهورية، لكن منذ أن علتْ راية الجمهورية في هذا البلد لم يجد سكان أفغانستان خيرا ولا راحة ولا هدوءا، وصل الشيوعيون إلى الحكم رغم أنهم كانوا قلة قليلة، وشرذمة منبوذة -لكن هكذا طبيعة النظام الجمهوري يعلو فيه كل صوت وضيع- فتعرضت البلاد لغزو السوفيات، واستمرت الحروب مدة طويلة. وبعد الانهيار السوفياتي، رضيت الجماعات السياسية بالحكم الجمهوري لكن لم يرضوه للشيوعيين، فسقطت دولة نجيب الشيوعية، لكن دخل خصومه أيضا في صراع بعضهم مع بعض، بحيث صارت المدن الكبرى -ولا سيما العاصمة- عرضة لحروب داخلية مدمرة دمرت كل شيء في البلاد.
فشلت الجمهورية من جديد ودخلت البلاد في نزاعات طائفية وقومية وقبائلية شرسة، وفقد الشعب أمنه وراحته، إلى أن ظهرت الإمارة الإسلامية، فرفعت راية التوحيد والوحدة، وكادت أن تكون بلسما لجراحات الشعب، حتى تعرضت لحرب شاملة غاشمة من قبل القوى الكبرى، فأبعدت الإمارة عن المدن، وحلت محلها الجمهورية مرة أخرى بقوة السلاح الأمريكي والغربي، والنظام الجمهوري الذي أتى به الأمريكيون وفرضوه على الشعب، ولا يزال الشعب الأفغاني يلعنونه ويسبونه بسبب كثرة مفاسده ومساوئه، وضعف قادته وفسادهم.
هكذ فشلت الجمهورية في أفغانستان مرتين فشلا ذريعا، فشلتْ مرّة قبل ظهور (طالبان) الإمارة الإسلامية، ومرّة بعد الاحتلال الأمريكي لأفغانستان، والسبب الرئيسي لفشل الجمهورية في أفغانستان هو ضعفُ قادتها وفسادهم وعمالتهم لجهات أجنبية، والتدخلات الأجنبية في شؤون البلاد.
فشلُ الجمهورية في أفغانستان جُرّب مرّتين، وقالت العرب قديماً: من جرّب المجرّب عقلُه مخرّب.
لذلك على الجميع في أفغانستان علماءً ونخباً أن يلتفّوا حول الإمارة الإسلامية، ولا يستجيبوا لدعوات الجمهورية التي ليست إلا دعوات إلى الخراب والدمار والبوار.

* * *



العالم الفقيه والمجاهد المجدد (الحلقة 42)

أ.مصطفى حامد (أبوالوليد المصري)

■ تجهيزات للحملة الثانية على جرديز
أوَّلًا: إنهاء طريق ناراي.
ثانيًا: استطلاع مضيق طيرة.
ثالثًا: المفاوضات مع ضباع جرديز.

■ لاحظنا تواجدًا «محترمًا» لمؤسسات الأمم المتحدة، والكثير من سيارات «الرنج روفر» الفخمة يقودها «الجيل الأفغاني الجديد» القادم من أمريكا وأوروبا، وقد أطلق هؤلاء الشباب الهجين لحاهم حديثًا، ويديرون العمل في مؤسسات الإغاثة الدولية، (كان لهذا الجيل الهجين دور كبير في العمل مع الاحتلال الأمريكي للبلاد بعد عام 2001).

انتهت الحملة الأولى التي شنّها حقاني على جرديز بدون أن يحسم الموقف ولكن قواته أصبحت قريبة جدًّا إلى المدخل الشرقي للمدينة. وله قوات في غرب الوادي خاصة في (تعمير) على حافة وادي زمرد بحيث تشكل تهويدًا خطيرًا لقوات العدوّ.

الفجوة الكبرى في موقف قوّات حقاني هو مضيق طيران الجبلي الحصين والذي ظلّ مفتوحًا ولم يغلق أثناء المعركة الأخيرة (سبتمبر1991) نتيجة تدخلات باكستان وأحزاب بشاور و(العالم الخارجي) أي التوافق الروسي الأمريكي.

كان معلومًا أنّ هناك جولة قادمة سوف يشنها حقاني ضد جرديز. وقال لي أكثر من مرّة إنّه يعتقد أنّ المدينة لن تصمد حتى الصيف القادم (1992). قال لي في تقييمه الموقف أنّ الحكومة قد وضعت كل طاقتها لحماية جرديز، وأنّ في المدينة أسلحة هائلة تزيد كثيرًا عن أضعاف الحاجة إليها، ولكن معنويات القوات الحكومية منخفضة جدًا والعلاقات بين قوات الجيش والمليشيات سيئة للغاية، وأنّ الوقود قليل والطعام يوزع بالوساطة ولا أحد يثق في أماكن استمرارية النظام.

استمرّ حقاني في تجهيز الحملة القادمة، من أهمّ التجهيزات كان طريق (ناراي) (بمعنى الصيحة)، وكان يسابق نزول الثلج فوق قمم الجبال كما يسابق طيران العدوّ الذي حاول عدة مرّات تدمير معبر أجزاء الطريق وضرب البلدوزر العامل عليه وسيارات المجاهدين التي حوله.

أصيب (البلدوزر بجراح) ولكنه لم يتعطل سوى قليلا وظل العمل يجري بسرعة بقيادة فدائي الطرق المستحيلة المجاهد الشاب (روثان جول).

طريق (ناراي) كان أحد العبقريات الهندسية لجلال الدين حقاني وقد أربك توازن قوات العدو في جرديز، وأصبحت قوات حقاني في مواضع استراتيجية هجومية خطيرة ويعطي مواضعه التي ظنها منيعة أصبحت مكشوفة وقابلة للهجمات المفاجئه خاصة جبل (سروراي) الذي استعاده العدوّ من حقاني ثم تمسك به بكل قوة، حتى إن بعض الأسرى أفادوا أن أي ضابط يخدم -ولو أيام- على ذلك الجبل يحظى على مكافأة كبيرة.

تحدثت مع أحد الضباط الأسرى وقال إنه خريج معهد زراعي في ألمانيا الشرقية. ولكن بدا لنا وكأنه ضابط استخبارات. وشعر أننا قد لا نعامله جيدا إن استمرّ في الكذب فأعطانا كمية كبيرة من المعلومات، ولكنه كان عن

مضيق (طيرا) وكان ذلك مفاجأة لنا وتحليلا أن ذلك جبل (سرواراي) كان مركزا استخباريًا خطيرًا.
طريق (ناراي) جعل وصول قوات حقاني إلى مناطق غرب جرديز ميسورًا وكذلك الوصول إلى أي نقطة إلى وادي (زورمات)، بل والوصول من تعمير عبر ممر (مالانج) يقود إلى ميمنة القوات المدافعة عن (طيرا) ويسمح بمهاجمة الممر. استطلاعنا في ما بعد أظهر أنه من الممكن إغلاق الممر بالنيران.
اختصارا كان طريق (ناراي الجبلي) أكثر بكثير من مجرد طريق؛ فقد أظهر حتمية الاستيلاء على جرديز. ولابد أن القوات الحكومية فهمت ذلك وأن خطرا حقيقيا بات يهدد جنوب وغرب وادي جرديز وأن ممر (طيرة) لا يشكل معضلة لوجستيه بالنسبة للمجاهدين، وأن الممر الذي أقلت به مؤامرة خارجية وداخلية لن يتمكن أحد من أن يبقيه بعيدًا عن سيطرة حقاني.

مع إبراهيم حقاني في وادي زورمت

■ الخميس 12 ديسمبر 1991

قرب قمة جبل ناراي قابلنا "روشن جول" الذي زف إلينا النبأ السار، أنه منذ قليل انتهى من تمهيد قمة الجبل وأن الطريق بالكامل أضحى جاهزًا لاستقبال جميع أنواع سيارات المجاهدين. ولكن البلدوزر في حاجة إلى عملية إصلاح وصيانة حتى يستكمل عملية "تشطيبات" النهائية في الطريق، فوعدنا بإمداده بكل ما هو مطلوب لإكمال عمله.
ما إن نهبط من جبل "ناراي" حتى نصبح في وادي زورمات.. في التلال الأخيرة من الجبل بدأت مراكز المجاهدين تتكاثر. أولها مركز صديقنا درويش الوردكي وجماعته، ثم مراكز متعددة، لجماعة حقاني.
ثم بدأ وادي زرمت الشاسع، وقرى كثيرة متناثرة بعضها عبارة عن بيوت قليلة العدد. كان دليل رحلتنا "حاجي إبراهيم" يتوجه بنا إلى المركز الرئيسي لحقاني في ذلك الوادي وهو مركز "ديري".. كنت أرقب أحد الجبال الفريدة - وكنت أكرهه بشكل خاص - وهو جبل منفصل عن سلاسل الجبال الأخرى، ويقف شامخًا محاطا بالوادي من كل جانب - كان يسمى جبل "سرواراي"، وهو شاهق الارتفاع ومحاصر بقوات الحكومة، استولى عليه المجاهدون في المعارك الأخيرة لكن الحكومة استطاعت استعادته مرة أخرى -
جبل "سرواراي" يمثل موقع ترصد مثالي، حيث يشرف على معظم السهول التي تنبسط تحته مثل كف اليد - لذا كنت أشعر به كابوساً دائمًا أثناء تحركاتنا في الوادي - وأظن أن ذلك كان شعور الجميع.
كان الجبل على رأس استهدافات حقاني القادمة، في حملته الثانية التي يجهز لها، لكونه يشكل خطرا على مجاهدي الوادي كله، ومركزا مثاليا لتوجيه المدفعية والطائرات.

- عند الغروب وصلنا إلى مركز لجماعة حقاني عبارة عن بيت واحد من الطراز الريفي ذو الجدران الطينية السميكة. في بعض مواضعها تمر خنادق بحيث يمكن لمن دخل البيت أن يطلق النار من الخندق على الخارج بدون العبور من بوابة المنزل. كانت العديد من الآليات العسكرية المعطوبة والسليمة تحيط بالمكان بين أشجار عظيمة الحجم.. المكان جميل وهادئ، ولكن هيئة "سرواراي" تثير القشعريرة وتنذر بالخطر.
- رحلتنا تلك استمرت أسبوعًا، ولم يظهر خلالها أي أثر لطيران العدو وكأن الطيارين قدموا استقالاتهم، أو أن الطائرات كلها تحت الصيانة. كان ذلك من حسن حظنا، لأننا نستخدم دوما المنازل الريفية وهي هدف غاية السهولة بالنسبة للطائرات، وفي ثواني يمكنها تحويل البيت إلى مقبرة كبيرة لجميع من فيه. في مركز حقاني هذا قدموا لنا غرفة كبيرة حسنة التدفئة نمنا فيها حتى أذان الفجر.

ثانياً: استطلاع ممر طيرة

■ الجمعة 13 ديسمبر 1991

كانت رحلتنا الأولى بهدف استطلاع مضيق (طيرة). ومن الطبيعي أن نبدأ من طريق الجبلي الجديد (ناراي) وأن الاستطلاع سيشمل تفاصيل ومناطق ومجموعات وقرى كثيرة.
- كان يقود السيارة حاجي إبراهيم الذي كان زهرة مجموعتنا في العمل ضد مطارات خوست. وهو من (زورمات) ، وذلك من حسن حظنا.
كنا على ترتيب مسبق لمقابلة حاجي إبراهيم شقيق حقاني في مركزه الجديد في زورمات، على مسافة ليست بعيدة من نهاية طريق (ناراي).
كان المركز عبارة في بيت ريفي ذو ساحة كبيرة به غرفة ضيافة وغرفة للاسلكي ومخزن لبعض الذخائر بعضها قذائف دبابات مضادة للدروع، وكانت مدهشة بالنسبة لي.
قابلنا "محمد" ابن المولوي حقاني. الذي كان يرتدي زيًا عسكريًا مرقطًا، ويستمع إلى أخبار الإذاعات عبر راديو صغير. لقد صار شابا يافعًا في ساحات القتال. كان الشاب يبدو وحيدًا في تلك الساحة الشاسعة التي لا تحتوي إلا على عدد قليل من الأشخاص. وكان يحمل بندقيته على كتفه، وصافحنا بهدوء.
- حاجي إبراهيم حقاني أعطانا أهم هدية في رحلة الاستطلاع وهو الكومندان (خواناي). وكان في حوالي الأربعين من العمر. ومعه ابن أخته (دوتار) وهو في العشيرينات من العمر. وظهر من العلاقة بين الرجلين نوع من الشد والجذب. فالكومندان العجوز يعطي الأوامر والدروس بشكل مستمر لابن أخته الشاب المتمرد الذي لا يتقبل أي شيء بسهولة. ولكنه في النهاية يطيع خاله الحبيب ذو الخبرة.

- يمكن القول إن عماد استطلاعنا لمنطقة (طيرة) كان هو الكومندان (خواناي) الشهم الشجاع، الذي خدم سابقا في الجيش الأفغاني، ربما لعدة أشهر وربما عدة أيام. كان (خواناي) موسوعة في تاريخ القتالي للمنطقة ومجموعاتها، وخبيرًا في مسالكها، كما كان صريحًا بشكل تلقائي وبدون أي حسابات.
- توجّهنا أوّلًا إلى "تعمير" وهي قرية متسعة أكبر ممّا توقعت، ذات أبنية إسمنتية حكومية، وآثار الحرب بادية على معالمها، فمعارك تعمير تعتبر من أهم فقرات الحرب في وادي "زورمت".
أدرنا ظهرنا لمدينة جرديز وسرنا على طريق إسفلتي متجه نحو محافظة "غزني" ولكنه لا يستمر على حالته الجيدة هذه سوى لحوالي عشرين كيلومتر، أما باقي الطريق إلى غزني فينتمي قطعا إلى عصور بداية الخليفة، وهو في غالبه صحراوي يعبر بعض المناطق الزراعية والقرى.
بعد حوالي عشرة كيلومترات من تعمير مررنا بسوق عامرة تدعي "قلل كوه " أي قمم الجبال - وفي الحقيقة أن سلسلة الجبال شمال الطريق والممتدة على طوله تقريبا يطلق عليها نفس الاسم. وهي عبارة عن سلاسل "حرشوفية " دميمة المنظر، عبارة عن مجموعة من "القلل" بدون جبل. أي أنها تقليد جبلي لحراشيف الديناصورات.
رغم نشاط السوق وكبر حجمه إلا أن تنوع البضائع فيه قليل. وأكثر ما يحتويه هو المطاعم الريفية بأطعمتها المحدودة من لحم وأرز وخضروات قليلة. حاجي خواناي اشترى القليل من اللحم حتى يضيفنا به في بيته. وانشغل الشباب في تموين سيارتنا بوقود الديزل المخلوط بالماء -
- لاحظنا تواجدًا "محترمًا" لمؤسسات الأمم المتحدة. والكثير من سيارات "الرنج روفر" الفخمة يقودها "الجيل الأفغاني الجديد" القادم من أمريكا وأوروبا. وقد أطلق هؤلاء الشباب الهجين لحاهم حديثا. ويديرون العمل في مؤسسات الإغاثة الدولية، ويتقاضون مرتبات لا يحصل عليها وزراء كابول أو باكستان. (كان لهذا الجيل الهجين دور كبير في العمل مع الاحتلال الأمريكي للبلاد بعد عام 2001).
- المنطقة بشكل عام جميلة جدا لولا أجواء الحرب. في العادة يقصف الطيران مثل هذه الأسواق من وقت لآخر. وقالوا إن هذا حدث هنا مرات عديدة، آخرها كان منذ عدة أشهر.
- قبل أن ينحرف الطريق يسارا ليستكمل مسيرته إلى غزني، نزلنا على التراب يمين الطريق كي نسلك شعابًا جبلية صوب وادي خلف الجبال تقع فيه مناطقنا المنشودة.
في بداية الطريق الترابي يوجد مسجد تظهر عليه عناية غير عادية في مثل تلك الأماكن. أخبرنا حاجي خواناي أنه المسجد بناه الصحابي "عبدالرحمن بن عوف". يعتقد الأهالي بذلك.

عبرنا الشِعْب الجبلي الطويل حتى فتح على وادي متسع رائع الجمال. مررنا بقرية جميلة سألت عن اسمها وأدهشني أنه كان: "كافركوت". سألت عن سبب الاسم الغريب فقالوا إنها كانت مقرا للكهنة البوذيين، وكان لهؤلاء حبلا ممتدا بين الجبلين على طرفي الوادي يعبرونه بما يشبه "التليفريك". كان ذلك يبدو مستحيلا لأن المسافة لا تقل عن خمسة عشر كيلوميترا، فكيف يمكن عمل تليفريك بالجبال عبر تلك المسافة في ذلك الماضي السحيق.
- في الثالثة عصرا وصلنا قرية "بانج باي". واصطحبنا "خواناي" مباشرة إلى منزله الصغير المكون من طابقين. استضافنا في الطابق العلوي المكون من غرفة واحدة وساحة ضيقة أمامها، اكتشفنا أن البيت هو أيضا مقر قيادة لمجوعته المكونة من ثمانين شخصًا، تبقى منهم الآن سبعة أشخاص فقط !!. وأن مجموع المجاهدين في المنطقة الآن هم ثلاث عشر بعد أن كانوا سبعمئة وقت عمليات أكتوبر.
شعرت بالقلق لهذه المعلومات. فمعناها أن العدو يستطيع أن يتمدد بسهولة في المنطقة فيصبح مضيق طيرة من حكايات الماضي وتنتقل المعركة إلى عمق أراضي محررة لا أحد يدافع عنها الآن رغم ملامستها لمناطق العدو الحساسة.
كنت قلقًا طول الليل لشعوري أننا يمكن أن نداهم بقوات معادية أثناء الليل فنقع في الأسر، ولم أجد مانعاً يعرقل هذا الاحتمال الكئيب - فالمنطقة حساسة ومتسعة وقريبة جدا من العدو ونحن وجميع مجاهدي المنطقة لا نصل إلى العشرين شخصًا. وأشك تمامًا في وجود حراسات أثناء الليل.
- في مسجد القرية في صباح الغد توافد علينا شيوخ القرية وبعض المجاهدين. وسمعت منهم حكايات عن متطوّعين مسلمين استشهدوا في المنطقة بواسطة كمائن من الجيش كانت تترقب قوافل الإمداد التي تعبر المنطقة صوب الشمال. وقالوا إنّ مجموعة من الشباب الأتراك قتلوا في القرية، وأن قبر أحد هؤلاء الشهداء قريب من المسجد فطلبت أن نذهب لقراءة الفاتحة على قبره.
قبور هؤلاء الغرباء مازالت تثير الشجون، ولها احترام خاص عند أهالي المنطقة. إنها إشارة قوية على أن المشاعر التي تربط الأمة الإسلامية الواحدة مازالت يقظة وفاعلة، رغم محاولات الأعداء إطفاءها بأنهار من دماء المسلمين، وحصر كل شعب في قفصه "الوطني" الذي هو قفص للإضعاف والإذلال واليأس صنعه الأعداء.
- السيدة الكبيرة والدة "حاجي خواناي" أعطتنا دفعة معنوية كبيرة حين أصرّت على تقديم طعام العشاء لنا بنفسها. ثم جلست تكلمنا عن الجهاد والإسلام والشهادة. ثم تسألنا عن بلادنا وأهلنا. في صباح اليوم التالي ترقرقت أعينها بالدمع وهي تودعنا وتدعو لنا.
أشعر أن الإسلام سيظل بخير في أفغانستان بفضل أمثال تلك المرأة العظيمة. وهي نموذج شائع هناك

لحسن الحظ. إنهن نموذج فريد من الأمومة الرحيمة لمن حولها، مع شجاعة وصلابة هائلة إذا تعلق الأمر بالدفاع عن الإسلام. فلا يتركن لأحد فرصة كي يظهر أي علامة ضعف، وتدفع الزوج والأولاد إلى ساحات القتال بلا هوادة. تابعنا الرحلة مع الكومندان خواناي، إلى أن وضعنا على أعتاب مضيق طيرة، بكافة تفاصيلة.

ثالثا: المفاوضات مع ضباع جرديز

كبار الجنرالات في جرديز هم مجموعة من حوالي أربعة جنرالات كانوا يجرون مفاوضات مع المولوي حقاني من أجل التسليم وحاول إقناعهم أن لا جدوى من المقاومة. كانوا قساة ماكرين كفريق من الضباع الخطرة.

مستشار حقاني في المفاوضات مع ضباع جرديز، كان هو الجنرال (صلح أمل)، الذي أسر في خوست بعد أن فشلت طائرته في الإقلاع نتيجة رمايات المجاهدين وذلك في صباح أول يوم لفتح خوست، كان الجنرال من هلمند وشغل منصب مستشار عسكري لرئيس الجمهورية خوفًا من إعطائه مهامًا في زيارة داخل الجيش.

كان ذكيًا ولمّاحًا. تكلمت معه عدة مرات وتناقش مع حقاني كثيرًا وكانت الاستنتاج المشترك هو أن المجاهدين قد كسبوا الحرب وأن لا مستقبل لنظام كابل، ولابد من وقف الحرب فورًا للحفاظ على الأرواح وعلى ممتلكات الناس وعلى ما تبقى من أفغانستان.

كان (صلح أمل) نشيطاً للغاية، وصاحب مبادرة، وعلة اتصال مستمر مع كبار جنرالات الدولة في كابل، ومع مجلس قيادتهم في جرديز. وكان يعرف الجميع بشكل شخصي ومحل ثقة. فكان دوره فاعلا جدا في مجال التفاوض حتى أوشك على توصل بأشراف حقاني إلى وقف إطلاق النار في جرديز إلى حين ترتيب إجراءات الاستسلام وانسحاب المليشيات بشكل منفصل .

- حقاني لم يسمح للجنرالات الشيوعين بالتلاعب والمماطلة أو التحكم في تسليم الأسلحة لمجموعات بعينها حول جرديز. إلى آخر مناورات يتقنها ضباط الجيش الشيوعين بشكل ماهر جدا، تسبب كثيراً في خلق مشاكل للمجاهدين والسكان. وعلى أي حال كان التفاوض مع (ضباع جرديز)، غير حاسم. وأهم نتائجه هو يقين الجنرالات أنهم قد خسروا الحرب نهائيا، ولا مجال أمامهم للتلاعب.

* * *

تغريدات المتفاعلين

إعداد: أبو محمد

بعدما أعلن بايدن عن نواياه الخبيثة بسرقة أموال الشعب الأفغاني المضطهد المظلوم، استنكر المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها هذا العمل الجبان، وعدّوه سرقة ظاهرة وخبيثة، وأعربوا عن شجبهم لهذا الفعل البغيض عبر التغريدات التي اقتطفنا بعضا منها فيما يلي:

Dr.M.Naeem
@leaOffice

سرقة أموال الشعب الأفغاني التي جمدتها الولايات المتحدة والتصرف فيها يدل على أعلى مستوى انحطاط البلد والشعب الإنساني والأخلاقي.
الهزيمة والنصر أمر وارد في تاريخ البشرية والحياة، لكن الهزيمة الكبرى والفاضحة أن يجرب بلد أو شعب ما هزيمة عسكرية وأخلاقية معا.

سعيد الأفغاني
@saeed__alafghani

قرار الرئيس الأمريكي بشأن صرف أموال الشعب الأفغاني و تخصيصها إلى الضحايا حادث ١١ سبتمبر المشبوهة؛ أثبتت أن أمريكا وحكامها ما زالت هي مجموعة من اللصوص و الناهبين السابقين الذين لا يتمتعون بالقيم الأخلاقية والإنسانية مهما صوروا أنفسهم لنا كأصحاب الثقافة والحضارة الإنسانية.



بشير أحمد الأفغاني
@bashir__ahmad

أمريكا بعد سقوطها عسكريا في أفغانستان، ها قد سقطت إنسانيا وأخلاقيا، حيث سرقت أموال الأفغان انتقامًا منهم على هزيمتهم المخزية.
نسأل الله سبحانه أن يرينا سقوطها اقتصاديا كذلك حتى يتخلّص العالم من غطرستها وبلطجتها.

ياسر الزعاترة
@YZaatreh

وقع بايدن أمس أمرا تنفيذيا بنقل 7 مليارات دولار من أصول البنك المركزي الأفغاني المجمّدة إلى النظام المصرفي الأميركي.
سيذهب نصفها لتمويل الإغاثة الإنسانية، فيما يستخدم الثاني لتمويل عمليات التقاضي المستمرة لضحايا هجمات سبتمبر.
لا حدود لوقاحة أمريكا وقادتها.
قتلة ولصوص في آن.

عمران الأفغاني
@afghan__
الشعب الأفغاني الذي صمد أمام ضربات هذه القاذفات، لن تكسر ظهره سرقة بايدن لأمواله...
اطمئنوا !!

Rahman ullah
@Rahmanu
أمريكا التي تغزو، أمريكا التي تقتل، أمريكا التي تسرق، ولكن وفقا لوسائل الإعلام، ملاك جيد. سيئ السمعة.

جيفر
@Jaiifar
بايدن الحنون يسرق ٣ مليارات دولار من أموال الشعب الأفغاني جهاراً نهاراً.



د . محمد الجوادي
@GwadyM
الفرق بين المرشحين الامريكيين في جملة واحدة أن #ابوايفانكا يدعم بقاء الطغاة في بلاد الاسلام بينما بايدن يحارب النجاح في بلاد الاسلام
#ابوايفانكا يقوي السم
#بايدن يسرق الترياق

عبدالعزيز التويجري A. Altwaijri
@AOAltwaijri
بعد سرقة #أفغانستان لمدّة عشرين عاماً وتدميرها، #بايدن يوافق على سرقة 7 مليار دولاراً هي أرصدة #أفغانستان المجمّدة في #أمريكا!



جلال الصياد
@GalalAlsyad
ترامب لما قرر يسرق سرق من دول غنية مثل السعودية
بايدن لما قرر يسرق سرق اموال الشعب الافغاني الفقير!؟

حسام الخطيب
@HUSSAMALKHATE12
امريكا تصادر الاموال الافغانية المجمدة في البنوك وهي بذلك تصادر اموال افقر شعب في العالم وتثبت للجميع اننا نعيش في غابة القوي فيها يأكل الضعيف.





أيمن يوسف
@ArtmanagementAY

الكاوبوي الأمريكي يستمر في مسلسل «البلطجة» وتسيير القوانين حسب هوى من يملك المسدس بقوانين الغاب! هي دورة حضارية وابتلائنا أننا جئنا في عصر تغول الغرب على الحضارات الأضعف. وبإذن الله سنعيش لنرى انقلاب الطاولة، المهم وقتها تكون دولنا تحركت للأعلى بإذن الله.

روح الله عمر الأفغاني
@roohullahumar

كتبوا في اتفاقية الدوحة أننا لا نعترف بالإمارة الإسلامية كحكومة أفغانستان.
اليوم قرر رئيسهم توزيع الأصول الأفغانية على ضحايا ١١ سبتمبر لتورط الطالبان فيها.
والحقيقة أنه لا دليل على تورط أي أفغاني فيها، والأصول ليست ملك الطالبان بل هو ملك الشعب الفقير.
سيكتب التاريخ يوما انحطاط الإنسانية إلى حد سرقة أموال الشعوب زمن حكم الصليب.
ولكن الأيام لن تدوم كما هي تمر. فضعيف اليوم سيسأل قوي الأمس حتما.

Ibrahim Sami
@Ibrahimsamoooo

لا حدود لوقاحة أمريكا وقادتها.
قتلة ولصوص في آن.

Dr. Ahmed Ali
@OtaifaAhmed

وبايدن يسرق ما تبقي من قوت الشعب الافغاني الجائع...اي نفاق وكذب يسود هذا العالم

زبار بلقاسم
@0g5Q1BzPTerWQIG

لا يوجد نظام عالمي بل يوجد قرصنة نهب من الدول التي تدعي أنها أنشئت هذا النظام للتصدي للفوضى وانتهاك حقوق الإنسان.

الشاعر ابوامجد المليكي
@aboamjad

عندما يستولي #بايدن على اموال الشعب الأفغاني ويخصصها كتعويضات لضحايا الـ11من سبتمبر.
فيا ترى من سيدفع تعويضات لأهالي ضحايا الحرب الأمريكية من الأبرياء في #افغانستان و #العراق #واليمن #وسوريا وغيرها من الابرياء الذين قضو بحجة الحرب على الإرهاب #بايدن_يسرق_اموال_الشعب_الأفغاني

عابر سبيل يوشك على الرحيل
@sammahmoudelsai

لصوص خيرات العالم، بايدن اللص يكمل أحداث فيلم لص بغداد، من إخراج جورج بوش الإبن، وسالب أموال اليتامى البترولية من إخراج ترامب أكبر لص، لكن ذلك كله يذهب مع أول عاصفة تعصف بهم، أو مع روسيا اكورانيا



وسطية الإسلام

أبو عبدالله

السؤال الذي يطرح نفسه اليوم: من مزّق المسلمين؟ ومن جعلهم في ركب التخلف عن الحضارة؟ فمن قائل: الاستكبار العالمي، ومن قائل اليهود، ومن قائل: أعداء الإسلام من الملاحدة وغيرهم، ولكن هل هذا صحيح؟ لاشك أنّ أعداء الإسلام كلهم متضافرون على محاربته ومحاربة الأمة الإسلامية وتدميرها وتمزيقها، وهذا موقف طبيعي لا تناقض فيه فهذه مصلحتهم، وهذا شأنهم.

ولكن ما يصنع هؤلاء كلهم لو كان المسلمون متمسكين بدينهم ومتّحدين؟! ماذا يفعل جرثوم المرض إذا كان الجسم سليمًا؟! إنّ المشكلة تكمن في داء عُضال أصاب المسلمين فأوهن قواهم، ودكّ معاقل القوّة لديهم، هذا الداء اسمه: (اللاوسطية) أو (انعدام الوسطية).

فهو السرطان الفتّاك الذي شلّ وحدة المسلمين، ومزّقهم كلّ ممزق، وجعلهم في مؤخرة الركب. وسببه الأكبر أننا نحن المسلمين، نحن أوجدناه واستغلّه الآخرون. نحن الذين جعلنا من الأشخاص أصنامًا، ومن المذاهب أديانًا، ومن الاختلاف خصومة، ومن المناظرة مهاجرة، ومن الرحمة نقمة! ومن الذي صنع ذلك، إنهم المسلمون!

لو بغير الماء حلقي شرق
كنتُ كالغصان بالماء اعتصاري

فالوسطية هي وسام شرف لهذه الأمة، وبها جعلها عز وجل شهيدة على النّاس من حيث لا تشهد عليها أمّة بل رسولها، هذه الوسطية ضاعت بين جانبي الغلو والانحلال، الإفراط والتفريط.

كلنا يتكلم عن الوحدة الإسلامية؛ فمن المتفرقون؟ وكلنا يتكلم عن الوسطية، فمن الغلاة؟

قيل: إنّ عبد الله بن المبارك كان يعظ في المسجد فتكلم في الخشية والمراقبة لله حتى أخذته والسامعين حالة من الخشوع والبكاء والذهول، فلما أفاق رأى المصحف الذي كان أمامه يقرأ منه ويفسّر قد سُرق، فقال لهم متعجبًا: (كلكم تبكون من خشية الله وليس في المسجد غيري وغيركم؛ فمن سرق المصحف؟!).

الواقع أننا يجب أن نبدأ من أنفسنا كلنا، بحيث نأطرها على الحق أطرًا. أن نبدأ من إصلاح العقل والقلب معًا؛ العقل بالوسطية، والقلب بمحاربة الأهواء وباطن الإثم.

فالكلام لديّ هنا ذو اتجاهين: اتجاهٍ ينبع من الفكر، واتجاه ينبع من الوجدان، وكلٌ منهما يكمل الآخر.

أمّا الاتجاه الأول: فهو خلاصة مكثفة جدًا، أجمل القول عنه في نقاط خمس:

1 - التوسط الإسلامي (العدل بين الوجدانية والعقل، وملاءمته الموزونة بين الروحانية والمادية، والجماعية والفردية، وهو سر مثالية منهجه الخاص في الحياة علمًا وفهمًا وسلوكًا)، فهو

نموذج للبشرية كافة مدعوة إليه غير محمولة عليه.

2 - التوسط أصلٌ في كلي الشريعة وجزئيها، في الأصول والفروع والقواعد الفقهية الكلية وفي النّظام الاقتصادي.

3 - نظرية النّسب أصل في التشريع الإسلامي، وذلك بين الأعمال والتكاليف، وهي أبرز أسس النظرية الوسطية الإسلامية وأهمّها.

4 - التوسط في التشريع الإسلامي هو الأصل، والميل إلى أحد جانبي الزيادة أو النّقص في حكم تشريعي إن وجد فهو حالة استثنائية اقتضتها الضرورة أو الحاجة، لها أسبابها، وتزول بزوال تلك الأسباب.

5 - كل إفراط أو تفريط، غلوّ أو تساهلٍ وانحلال، مرفوض شرعًا وليس من الإسلام ولو عدّ منه، فالمنهج النّبوي الواجب اتباعه على الأمة القصد: "خير الأمور أوساطها".

وأما الاتجاه الثاني فهو (وسطية الأمة الإسلامية في غابر الأمة وحاضرها:

1 - فإذا كانت الأمة الإسلامية في التعبير النبوي الكريم: "أهل يثرب ومن يلحق بهم أمة واحدة من دون النّاس". فوسطية الأمة الإسلامية هي: (كونها خيارًا عدولا مزكيين بالعلم والعمل)، فالوسط هو العدل.

فهذا الجعل إناطة للتبعة، وتعويل وتخويل، وإعداد للهمّة، وحفز للهمة، فهي وسطية حضارية، وشهادة دنيوية وأخروية.

2 - هذا في غابر الأمة الإسلامية يوم كانت خير أمة أخرجت للناس، يوم كانت أمة وسطا. أما الأمة الإسلامية في حاضرها فهي مدعوة للتوسط اليوم أكثر من أي وقت مضى، لأنه لا سبيل إلى بقائها إلا بوحدتها، ولا سبيل إلى وحدتها إلا بوسطيتها الأولى.

3 - ولكن هل يكفي أن تكون الوسطية قائمة في التشريع الإسلامي، وفي غابر هذه الأمة، وسلفها الصالح، حتى تمارس الأمة اليوم وسطيتها؟!

هل يُغني أن تكون الشمس مشرقة قد ملأت الأفق حتى يراها النّاس؟ فإذا كان أحد النّاس أعمى، أو داخل غرفة مظلمة أوصد بابها ونوافذها، فكيف يرى الشمس؟!

هل يكفي ظهور الحق وحده حتى يرجع النّاس إليه؟

أفليست وحدة الألوهية ظاهرة، فلماذا يشرك بعض النّاس أو يلحدون؟!

أفليس الإنسان يعرف عبوديته لله حق المعرفة وهي هُويته، فلماذا يدّعي أحيانًا الربوبية، بلسان الحال أو المقال؟!

ليس كل حق زعيمًا أن يرجع الناس إليه، ولو ظهر ظهور الشمس في رابعة النّهار.

4 - لقد تفقهت الأمة الإسلامية في غابرها التوسط تفقّها جعلها وسطًا، كما تقول في الرجل العادل (العدْل)، بل تحققت بهذا التوسط؛ وذلك ضمن شقين: التصور والسلوك. وأقصد بالتصور: الفهم الكلي، وأقصد بالسلوك التطبيقَ العملي. فكان كلٌّ من تصورها وسلوكها وسطًا.

ففي التصور: يقول سيدنا علي رضي الله عنه وكرم وجهه: (خير النّاس هذا النمط الأوسط، يلحق بهم التالي ويرجع إليهم الغالي). ولقد تجلى ذلك التصور الصحيح للوسطية في السلف الصالح في كلام فقهائهم وعلمائهم؛ فيقول العلامة أبو إسحاق الشاطبي النجمي الغرناطي في الموافقات: (الوسط معظم الشريعة وأم الكتاب).

5 - وأما السلوك فكان السلف رضي الله عنهم أكثر النّاس تمسكا بهذا الأصل، وهو التوسط بلا غلو ولا انحلال، تشهد بذلك سيرتهم وحياتهم من أخذ بأصول الخلاف العلمي وآدابه، وبالخُلُق الإسلامي الرفيع.

كانوا يختلفون ولا يتخاصمون، يرجعون إلى الحق إذا ظهرت لهم أماراته، لا ينتسبون إلى شيء إلا إلى الإسلام والإسلام وحده.

كان كل واحد منهم قرآنًا ناطقًا، كانوا ربانيين كما أمرهم الله تعالى في التنزيل، فلم يضلوا إلى غلوّ أو انحلال.

وهل السلوك إلا مرآة للتصور؟ فإن كان التصور صحيحًا كان السلوك كذلك، وإلا فذاك. وهل الأمة في مرحلة السلف الصالح إلا فهم كامل، وتطبيق كامل للإسلام؟ وليس السلف بمعصومين ولا بأنبياء، فهم بشر يصيبهم الضعف البشري، وتزلّ أقدامهم أحيانًا إلى فهم خاطئ أو سلوك خاطئ، لكنهم سرعان ما يرجعون إلى الحق والخط العريض للإسلام عند أول تذكير.

فقصة سيدنا عمر مع العجوز التي لم ترضَ منه تحديد المهور واستشهدت بالآية القرآنية: وآتيتم إحداهنّ قنطارًا، قائلة: أيعطينا الله وتحرمنا أنت يا عمر؟! فنزل من على المنبر قائلا: كل الناس أفقه منك يا عمر حتى العجائز!!

6 - ولكن ما هي أسباب هذا الغلو والانحلال في المسلمين مما أفقدهم وسطيتهم المباركة، ووحدتهم المنشودة؟!

أرى ذلك يظهر في واحد من سببين أو من كليهما:

1 - الجهل بحقائق الإسلام والاكتفاء منه ببعض أحكام العبادات وما إلى ذلك.

2 - والتعصب الممقوت للمذهب أو للفئة أو للجماعة أي (للذات).

والدواء ينحصر في العلم الصحيح المأخوذ بالمناقشة عن الأشياخ العلماء الجهابذة، وفي أدب العلم، فالعلم وحده لا يكفي، بل لابد معه من أدب المناظرة والبحث العلمي وأخلاق العلماء، ولا يكون ذلك إلا بالصحبة.

الإسلامية، فليست من الإسلام، كما أنّها ليست علمًا ولا أخلاقًا.

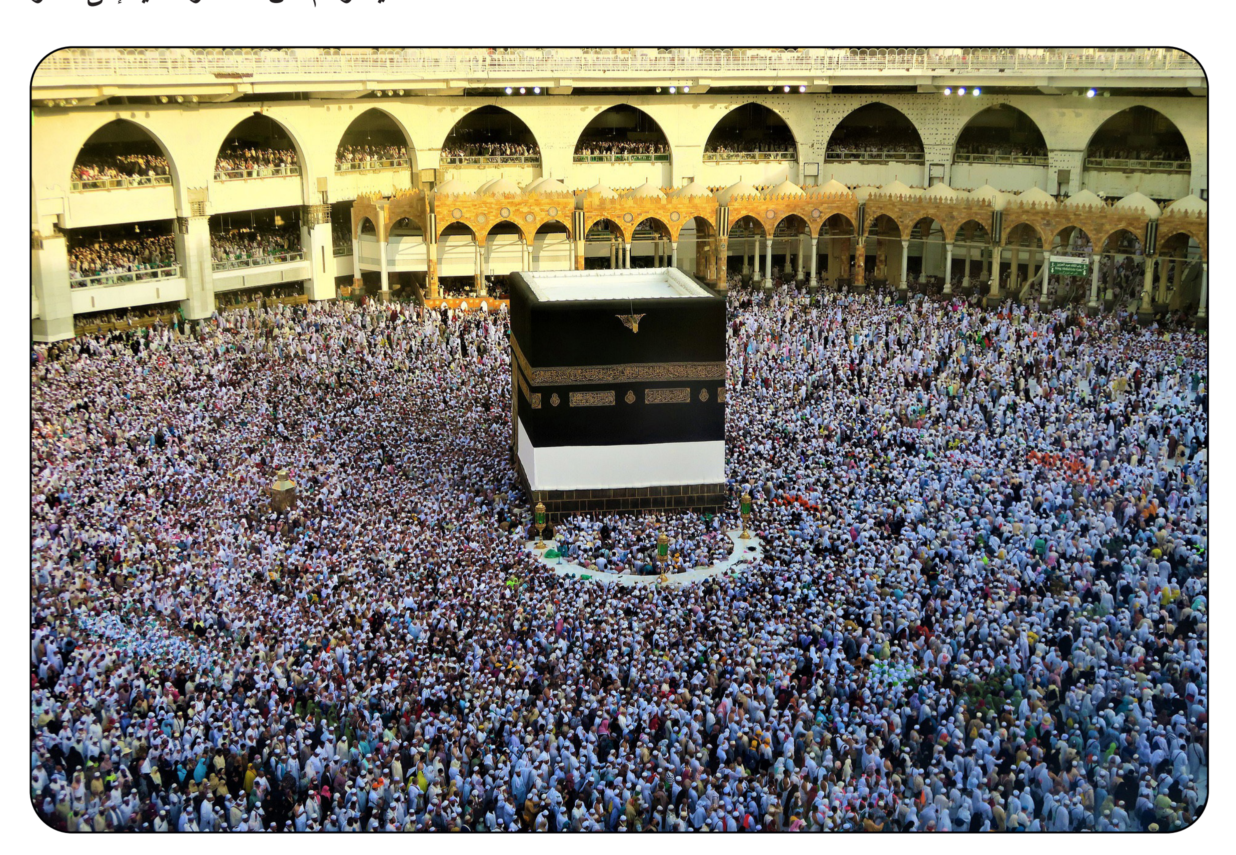
الأمة الإسلامية كما فهمتها جماعة واحدة وكل من يفرقها جماعات ويتحزب لواحدة دون أخرى بالغلوّ والتعصب، لم يفقه الإسلام، ولم يعرفه.

ألا ما أحوجنا – نحن طلاب العلم الشرعي اليوم- إلى أدب العلم وأخلاق العلماء.

وأخيرًا لا بد من كلمة أسوقها للعلامة ابن القيم رحمه الله: (الشريعة عدل كلها، ورحمة كلها، ومصالح كلها، فكل مسألة خرجت من العدل إلى الجور، ومن الرحمة إلى ضدّها، وعن المصلحة إلى المفسدة، وعن الحكمة إلى العبث، فليست من الشريعة وإن أدخلت فيها بالتأويل).

7 - ولكن هل يأذن لكم أعداء الله ورسوله بممارسة وسطيتكم؟

أبدًا لن يأذنوا لكم بذلك؛ لأنه سر وحدتكم، وسبب بقائكم زاتحادكم، بل وانتصاركم عليهم. إنهم يدسون لكم وبينكم الخلافات المصطنعة ليلفتوكم عن هذه الوسطية إلى الغلوّ



أوردها سعد وسعد مشتملْ

ما هكذا يا سعد تورد الإبلْ

إني فهمت الإسلام على أنه دين العلم والأخلاق معًا مصداقًا للحديث الشريف: «إنّما بعثت بالعلم، إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق».

فكل قضية لا تخضع لمنهج العلم الإسلامي، وللأخلاق

والتطرّف، فترجعوا بعد نبيكم كفارًا يضرب بعضكم أعناق بعض .

ولكن أنتم المسؤولون عن ممارسة وسطيتكم التي هي أعظم خصائصكم، كما أنكم مسؤولون عن بقائكم فيها تتوحدون، وبها تسمون وتبقون وتسمقون وتنتصرون، وإنه لجهاد في النّفس والهوى.

* * *



سعدالله البلوشي

رايتنا الجميلة المنقوشُ في وسطها شعار ديننا وهويتنا ووجودنا ألا وهو (لا إله إلا الله محمد رسول الله)، هل تدرين كم أنتِ جميلة عندما نراكِ مرفرفةً فوق السطوح والأبنية والمكاتب وعلى أكتاف الجنود والعلماء والمحدّثين والفقهاء؟!

مرفرفة أنتِ يا رايتنا على سيّارات المجاهدين التي تعبر الشوارع من هنا إلى هناك، بلا منع مانع أو عدوّ. يا سبحان الله! رايتنا الجميلة! أو تظنّين أنّكِ نصّبتِ هنا وهناك بلا كدٍّ أو تعبٍ، بلا تضحيةٍ وإراقة دم؟!

رايتنا الجميلة عودي شيئًا للوراء، عندما فتحنا مكتب قطر عام ٢٠١٣، ورفعنا راية التوحيد، راية محمد صلى الله عليه وسلم، راية الحق، راية الخير، فأزالوا رايتنا ومكروا مكرًا خائبًا، واليوم لمّا أرى رايتنا مرفوعة في طول البلاد وعرضها لا أملك شيئًا إلا أن أخرّ ساجدًا أمام القادر الجبّار القوي الذي بيده كل شيء.

اجتمع المتصلفون والجبابرة، وتحالف الصليبُ بقضّه وقضيضه لإزالة هذه الراية البيضاء الجميلة من على ثرى الوطن، ونجحوا بظاهر أمرهم، وأسقطوا الحكومة الإسلامية التي أعلنت تحكيم الشريعة، وقامت بتنفيذ ما أمر الله سبحانه وتعالى في محكم تنزيله من الأوامر الحكيمة والشرائع الرشيدة.

آهٍ يا رايتنا الجميلة! كم فقدنا من رفاق الدرب بين القتلى والجرحى والمعوّقين حتى رفعناك مرّة أخرى على ربوع الوطن، وفي كل صقعٍ من أصقاع بلادنا الحبيبة.

آهٍ رايتنا الجميلة! فقدنا مجدّد الجهاد، محطّم الأصنام، الحاكم الزاهد، أميرنا وأمير المؤمنين الملا محمد عمر مجاهد رحمه الله وهو في زاوية من زوايا الوطن، يعيش عيشًا غريبًا في كوخٍ بسيط وبأقلّ الإمكانيات.

آهٍ رايتنا الجميلة! حدثيني عن أمير المؤمنين الشهيد الملا أخترمنصور، ماذا فعلتْ طائرات الصليب بجسمه المبارك، ألم يتنبأ الشهيدُ بمقتله وجسده المشويّ في حياته، فماذا تريدين بعد ذلك؟!

آهٍ رايتنا الجميلة! كم فقدنا من المهاجرين والأنصار كم وكم؟!

رايتنا الجميلة! لقد كنتُ أخاف أن أموت قبل أن أرى هزيمة الصليبيين في أفغانستان، وقبل أن أرى ذلك اليوم الذي ترفرف راية الإمارة الإسلامية على ثرى الوطن، فالحمدلله لقد رأيته. رأيت هذا اليوم السعيد، هذا العيد المجيد فمرحبًا بالشهادة بعد الآن حيث ينتظرها سعد ورفاقه بفارغ الصبر.

رايتنا الجميلة! أتمنى والله هو الموفق أنْ أخدم هذا الدين بإخلاص بعدما أراكِ خفاقة في سماء وطني الحبيب مرفوعة، حتى آخر نفس من حياتي بفكري وقلمي ولساني وقلبي وكل قطرة من دمي، حتى ألقى الله وهو عني راضٍ فيغفر لي ذنوبي ويدخلني مع الأبرار.

أنت حرٌّ

أحمد تيسير كعيد

تَجَمَّل بالثبات، فأنتَ حُرٌّ ... حياتك ... إنها كَرٌّ، وفَرُّ
وأَقْدِمْ قَدْ تنالُ بها الثريا ... وقد يكبو الجواد، ولا يضرُّ
وكن جلداً صبوراً حين تأتي ... مصائبُ سوف ترحلُ، أو تَمرُّ
ولا تأمنْ لمغتابٍ حسودٍ ... يُهَدِّمُ ما بنيت ... ولا يُقِرُّ
وكن متفائلاً فالكرب يغدو ... ويأتي بعده فَرَجٌ يَسرُّ
ولا تصحبْ لرعديدٍ جبانٍ ... إذا راعتك أخطارٌ ... يفرُّ
وحاذرْ أن يكون السرُّ فيمنْ ... يخونُ العهدَ، لا يعنيه سرُّ
ولا تسمعْ لمغرورٍ جهولٍ ... يُجادلُ في ضلالته يُصِرُّ
وأَكْرِمْ مؤمناً حُرّاً، تقياً ... يريد العدلَ يحيا ... يستقرُّ
وكن بالله معتصماً قوياً ... إذا ما حلَّ في دنياكَ شرُّ
ستأتيك البشارةُ عن قريبٍ ... لثوب النصر أوطاني... تجرُّ

AL SOMOOD

Monthly Islamic Magazine

17th year - Issue 194 - Shaaban 1443 / March 2022



"الباطل لا يجد قوته في طبيعته، بل تأتيه القوة من جهة أخرى فتمسكه أن يزول، فإذا هي تراخت وقع، وإذا زالت عنه اضمحل، أما الحق فثابت بطبيعته قوي بنفسه."